الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education And Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد-النعامة-Salehi Ahmed University Center –Naama-
معهد الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر

بعنوان:

شعر الصّعاليك بين الأبعاد الثّقافية والتمثّلات النّفسية
-نماذج مختارة-

الميدان: لغة وأدب عربي الشعبة: دراسات أدبية التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشـــراف الأستاذ:
هشام بكري

إعـــداد الطالبة:
مريم عجروم.

لجنة المناقشة مكونة من السادة:

د. عبد القادر ضيف الله (أستاذ محاضر صنف-أ-، المركز الجامعي صالحي أحمد) رئيسًا.
د. هشام بكري (أستاذ محاضر صنف-أ-، المركز الجامعي صالحي أحمد) مشرفًا ومقررًا.
د. سميرة حمبلي (أستاذة مساعدة صنف-ب-، المركز الجامعي صالحي أحمد) مناقشًا.

العام الجامعي: 1444 هـ -1445هـ/ 2023م-2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : مريم عجروم

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 210052761

الصادرة بتاريخ : 05-09-2017

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : الأدب العربي

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : مظهر الصدالبلاغيين للأضداد المتضادة والمتضادات المتشابهة بمانع مصارف

أصرح بشرفي أني التزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 22-05-2024

توقيع المعني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء:

الحمد لله الذي وفّقني في هذا العمل المتواضع الذي أهديه مع أسمى عبارات الحب والامتنان:

إلى من جرع الكأس فارغا لي ليهديني قطرة حب

إلى من أزاح الأشواك عن دربي ليمهّد طريق العلم

إلى أبي نور دربي الذي ساندني وتعب من أجل إتمام مسيرتي الدّراسية.

إلى أمي التي طالما رافقتني بدعائها وحرصها علي.

إلى أختي الغالية التي طالما مدّت يد العون لي وتعبت من أجلي.

إلى أخي وأحبّتي وأصدقائي وكلّ من ساهم في نجاحي من قريب أو بعيد.

إلى الأساتذة المحترمين وزملاء الدّراسة.

إلى كلّ من قدّم لي يد المساعدة.

مريم عجروم.

شكر وتقدير:

الحمد والشكر لله الحي القيوم أوّلا وأخيرا وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلّم:

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

أتوجّه بجزيل الشّكر وجميل العرفان للأستاذ المشرف **"هشام بكري"** الذي تكرّم بقبول الإشراف على هذه المذكّرة، وعلى جميع التوجيهات والملاحظات والنّصائح.

كما لا يفوتنا أن نتقدّم بوافر التّقدير والاحترام إلى جميع الأساتذة الذين تتلمذنا على أيديهم عبر مراحل التّعليم المختلفة من الابتدائي إلى الجامعة

وفي الأخير نشكر كلّ من قدّم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد ونسأل الله عزّ وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم إنّه قريب مجيب.

مريم عجروم.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام الفصحاء محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن اتّبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وبعد:

أصبحت الصعلكة في الأدب العربي ظاهرة استقطبت اهتمام الباحثين منذ العصور القديمة وحتى اليوم، لما تميّزت به من فرادة في التفكير والسلوك، وحتّى اللّغة التي لم تخلُ من روح التمرّد، حيث اتّسمت بنوع من الغموض من استعمال أفعال رباعية مضعّفة وأغراض تتجاوز القصيدة الجاهلية القديمة. يعود ذلك إلى طبيعة الحياة القاسية التي عاشوها بعيدا عن المجتمع الإنساني، وهو ما أدّى إلى وصمهم باغتراب روحي، نتيجة لسلبية القبيلة آنذاك التي كانت محكومة بحكم الفرد أي ولي الأمر، وبذلك لايمكن لأحد أن يتجاهل هذا النظام، لذا، فإنّ الصعلكة تعدّ ظاهرة اجتماعية نشأت من رحم القبيلة الجاهلية، وتمثلت صفة التمرّد عندهم بسبب الحرمان الذي عاشوه في حياتهم، وأصبح شعراؤها يعيشون على هامش حياة تلك القبيلة التي كانت تسيطر بفعل عاداتها وممارساتها الضاغطة ، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة دراسة هذا البحث، والذي تمثّل في الموضوع المعنون ب:

" شعر الصعاليك بين الأبعاد الثّقافيّة والتمثّلات النّفسية- نماذج مختارة"

ومن أهمّ الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع والتي تمثّلت في الأسباب الذاتية والموضوعية وهي كالآتي:

1. إثبات مكانة شعر الصعاليك وأدبهم بين علوم الأدب الأخرى.
2. الرغبة في شرح وتحليل النصوص الشعرية الخاصّة بالصعاليك.
3. حبّ الاطّلاع وميل الرغبة لموضوع شعر الصعاليك.
4. محاولة فهم المخزون الشعري الجاهلي عامّة، وشعر الصعاليك خاصّة، وفكّ شفرات الصورة التي ميّزت تلك الظاهرة.
5. المساهمة في إضافة شيء جديد للدّراسات التي تناولت شعر الصعاليك.

ومن الأهداف التي سعيت لتحقيقها من خلال دراسة الشعر الجاهلي بشكل عام، وشعر الصّعاليك بشكل خاص، بالإضافة إلى التراث العربي والأدبي بمختلف جوانبه، هي محاولة فهم هذا الشعر والتعرّف على نوعي التمرّد: التمرّد من أجل البقاء والعيش دون مراعاة الآخرين، ومن جهة أخرى التمرّد لأجل دعم أقرانهم الذين يعيشون في ظروف الصعلكة في مواجهة تحدّيات الحياة، كما أنّ تمرّد الصعاليك لم يكن نابعا من دوافع فردية دون سبب بل كان نتيجة لظروف دفعتهم إلى رفض سلطة الحاكم، ممّا أدّى إلى طردهم ونفيهم وأصبحوا يهيمون في كلّ واد، ملتجئين إلى النهب والسّلب.

ومن هذه الأهداف والأسباب نشأت لدي فكرة البحث الهادف إلى الإجابة عن التّساؤلات الآتية:

- كيف تجلّت ظاهرة الصعلكة؟ وكيف تشكّلت نزعة التمرّد عند الشعراء الصعاليك؟ وما الأسباب التي جعلت نفوسهم في اضطراب وحزن دائم؟ وهل أثّرت حياتهم النّفسية في شعرهم؟

وللإجابة عن كلّ هذه التّساؤلات وضعت هيكلة بحث مقسّمة على فصلين تتصدّرهما مقدّمة ومدخل، وهي كالآتي:

المدخل: والذي يحمل عنوان "نشأة الشعر الجاهلي" تطرّقت فيه إلى نشأة الشعر الجاهلي وأهمّ خصائصه.

الفصل الأوّل: والذي يحمل عنوان" الصعلكة من المفهوم إلى الأبعاد"، فتحدّثت فيه عن مفهوم الصعلكة لغة واصطلاحا، وسمات وأسباب مجتمع الصّعاليك.

الفصل الثاني: والذي يحمل عنوان "سيكولوجية الشاعر بين الاغتراب الروحي والارتحال الطوبوغرافي (الجغرافي)"، وقد خصّصت للدّراسة التطبيقية لمجموعة من العناوين منها موضوع المرأة والوقوف على الطّلل، ومكوّنات الفضاء الجاهلي من المنظور الثقافي، وتمثّلات العزلة والاغتراب في شعر الصعاليك، والبعد الثقافي النّفسي من المنظور الأدبي، وتضمّن تطبيقات على بعض الشعراء، وإبراز مدى التمثّلات النفسية عندهم.

الخاتمة: تمّ فيها عرض النتائج المتحصّل عليها في نهاية هذا البحث.

ولقد اتّبعت في دراسة هذا البحث المنهج الوصفي والمنهج التّحليلي، والذي تمثّل في إبراز التمثّلات النفسيّة عند كلّ شاعر، بالإضافة للمنهج التاريخي، والذي كان الأنسب في دراسة تزامن الأحداث وفهم كيف نبعت هذه الصّفة، وقد قدّمت مجموعة من النماذج الشعرية مع الشرح والتّحليل، وقد اعتمدت في ذلك على مجموعة من المراجع كان من أهمّها:

1. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.
2. عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه.
3. محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي.
4. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي.

وقد واجهتني عدّة تحدّيات في إنجازي لهذا البحث، منها عدم قدرتي على تحديد نطاق الموضوع بسبب اتّساعه الكبير، وصعوبة التّأويل نظرا لتوفّر المادّة العلمية بكثرة وتشعّب فروعها، وتعقيد تفسيرها، كما كانت هناك صعوبة في التّحليل والفهم، خاصّة الجانب التّطبيقي الذي يسعى لإبراز التمثلات النفسية للصّعاليك ومدى تمرّدهم على المجتمع، كانت هذه الصعوبات دافعا لمواصلة العمل وإثراء هذا الموضوع.

وفي الأخير نشكر الله ونحمده على نعمه الكثيرة ونسأله التّوفيق والرأي السديد، كما لا أنسى الأستاذ الفاضل **"هشام بكري"** على نصائحه وارشاداته القيّمة وإعانته لي في تصويب هذا البحث.

في النعامة: 2024/05/14

مريم عجروم.

المدخل:

نشأة الشعر الجاهلي

أوّلا- الشعر الجاهلي-بداياته-:

يعدّ الشعر الجاهلي من أبرز العصور التي ظهر فيها الشّعر، وقد يتبادر إلى الأذهان أنّ العصر الجاهلي يشمل كلّ ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتّسعون في الزّمن به هذا الاتّساع، ويتغلغلون به إلى قرن ونصف من البعثة النبوية ويكتفون بهذه الحقبة، وهي الحقبة التي تكاملت اللّغة العربية منذ أوائلها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، وينبغي أن نعرف أنّ كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقّة من الجهل الذي هو ضدّ العلم ونقيضه، إنّما هي مشتقّة من السّفه والغضب والنزق، فهي تقابل الإسلام الذي يدلّ على الخضوع والطّاعة لله عزّ وجل، ودارت الكلمة على الذّكر الحكيم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب[1].

جزم العلماء في مسألة بداية الشعر الجاهلي ((فذهبوا إلى أنّ عمره يمتدّ بين قرن وقرنين قبل ظهور الإسلام على أكثر تقدير، إذ نجد الجاحظ يقدّر أن عمر الشعر العربي قصير بالمقارنة مع عمر الإنسانية السّحيق فهو حديث الميلاد، صغير السّن أوّل من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، والمهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام))[2].

ومن خلال هذا فإنّ العصر الجاهلي هو أوّل العصور الأدبية، وله حقبة زمنية من أوّل بروزه إلى غاية انتهائه، وأجواءه تختلف من عصر لآخر.

والشعر الجاهلي مثل الحياة الجاهلية وقدّم لها أفضل صورة فاهتمّ العرب قديما بالشّعر أكثر من كلّ شيء، قال الجبوري: ((الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية، والصورة الصادقة لحياة العرب وتقاليدهم، ومثّلهم فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدّقيقة الموحية ممّا يجعله يعدّ بحق ذروة

[1] ينظر: شوقي ضيف، الأدب الجاهلي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط11، ص 48.

[2] محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2004م، ص25.

الشعر العربي، وقد كان القدوة المثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأموية والعباسية، يسعون إلى تقليده ومحاكاته، وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة، وما زال سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه بما فيه من أصالة وجمال في التّعبير ودقّة في المعاني ونضج فني وموسيقي ولغوي كبير))[1].

حاز الشعر الجاهلي باهتمام كبير من قبل الحلفاء فسعوا على أن يتعلّمه أبناؤهم بجلب أشهر الرواة والحفظة لتفقيه أبنائهم حفاظا على لغتهم وذاكرتهم، وزيادة ثقافتهم.

ثانيا- خصائص الشعر الجاهلي:

من خلال اطّلاعنا على الشعر الجاهلي نستنبط مجموعة من الميزات التي اتّصف بها من ناحية الشّكل والمضمون ((فالشّعر الجاهلي هو إنتاج وجداني مطبوع ومهما طالت القصيدة أو قصرت، فقد جاءت تقليدا ثانيا في أوزانها وقوافيها... وكانت البادية هي بيئة الشعر، مع نبوغ عدد من أهل الوبر الذين كانوا يسكنون الخيام في بواديهم وصحاريهم، وعلى هذا الأساس نرى خصائص الشعر تدور حول البادية))[2].

وقد جاء خصائص الشعر الجاهلي من حيث الشكل والمضمون كما يلي:

أ) من حيث الشّكل:

1. الأسلوب: والأسلوب هو المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتّعبير عن المعاني، أو هو طريقة التفكير والتّصوير والتعبير أو طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثّر في النّفس من سهولة، أو غرابة، أو وضوح، أو خفاء، أو طبع، أو صنعة وتمتاز الأساليب الجاهلية بجودة السبك وشدّة الأسر وروعة الأداء ومثانة التراكيب وفخامة النسج[3].

[1] يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1986م، ص121.

[2] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص16.

[3] ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، ص108.

2. غرابة الألفاظ وجزالتها: الكلمة الجزلة تعني الفخمة التي تقع موقعها من الاستعمال وصيغة الشعر، صيغة موسيقية والشاعر كان يستخدم ألفاظا من بيئته[1].

3. العناية والتّنقيح: كان الشاعر الجاهلي يجري في شعره على طبيعته الفطرية وعلى سجيّته فهو لم يتكلّف نظمه وإنّما يلقيه كما يخطر له ويدور في خياله وكان الشاعر ينفخ شعره ويهذّبه ويضفي جهده لإثبات براعته، فكان منهم من يخرج قصيدته في حول كامل حتى تخرج القصيدة مستوية تامّة، وهذا يوضّح أنّ الشاعر لم يصنع قصيدته دفعة واحدة، وربّما غير بعض أبياتها أو حذف أو زاد فيها حتى تكتمل، ولكن وجد نفر يأخذون الشعر بالعناية والتنقيح وقد سمّاه رواة الأدب (عبيد الشعر) لأنّهم يتكلّفون في اصلاحه[2].

ب) من حيث المضمون:

1. الصّدق: الشعر هو كلام يعبّر به الشاعر عن حياته وبكلّ ما فيها وما يدور في نفسه دون تكلّف.

2. النّزعة الوجدانية: الشاعر مطبوع في شعره على النزعة الوجدانية يصف نفسه وشعوره، حتى عندما يمدح أو يرثي أو يقول الحكمة لأنّ بساطته وطبعه مطبوع على الصراحة، لا يتلعثم ولا يتطرّف، ومن أجل ذلك فقد فضّل النقاد شعر البداوة على الشعر الحضري، لما عند البدوي من عفوية النظم، وسير الحياة وبعده عن التّعقيد[3].

3. البساطة: الحياة البدوية حياة فطرية، تسودها البساطة فلا تكلّف ولا تخرج ولا تعطيل، والشاعر في العصر الجاهلي لا يعوزه ذلك ولا يحتاج إلى التكلّف وهذا ما نراه عند كثير من شعراء هذا العصر:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّماحُ نَواهِلٌ ..... مِنّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

[1] ينظر: يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، المرجع السابق، ص18.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 18

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص19.

فَوَدَدْتُ تَقبِيلَ السُّيوفِ، لِأَنَّها..... لَـمَعَتْ كَـــبارِقِ ثَغْرِكِ المُتبَسِّمَ[1].

4. الاستطراد: أثر على الجاهلية مقطوعات كان أكثرها في الأصل قصائد طول الحياة فكان يحمد في الشعر أن يكون طويل النّفس أي أنّه يطيل القصائد"[2]. إذن فالاستطراد هو أساس الشعر الجاهلي.

5. الخيـال: أدّى اتّسـاع أفـق الصـحراء إلـى اتّسـاع خيـال الشـاعر الجـاهلي، فتشـبيهاته كـان ينتزعهـا مـن عالمـه المـادّي كتشـبيهاته للمـرأة، فهـو يشـبّهها بالشّـمس تـارة وبالبـدر تـارة أخـرى، وغيرهـا مـن التّشـبيهات"[3]. فميزاتـه كثيـرة ومتعـدّدة الوصـف، المـديح، الرثـاء، الهجـاء، الحكمة والفخر، وغيرها.

[1] الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه ونهايته: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م، ص 191

[2] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي القديم، من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ج1، ط4، 1981م، ص 78.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ج1، ط4، 1919م، ص220.

الفصل الأوّل: الصّعلكة من المفهوم إلى الأبعاد.

- أوّلا- مفهوم الصّعلكة.
- ثانيا- سمات مجتمع الصّعاليك.
- ثالثا- أسباب الصّعلكة.
- رابعا الخصائص الفنّية لشعر الصّعاليك.

تمهيد:

إنّ شعر الصعاليك ظهر على عوامل اقتصادية واجتماعية، لعبت دورا كبيرا في نشوء ظاهرة الصعلكة فولّدت بشكل طبيعي لتعبّر عن التناقض في المجتمع الجاهلي، فاتّبعوا منهجا واحدا في الحياة وهو التمرد والتشرد والنهب والتحرر من قيود السلطة والقبيلة الظالمة فلا يمكنه أن يرتبط بعادات وتقاليد مجتمعه، فلكل واحد معتقداته التي بنت فرديته.

- **أوّلا - مفهوم الصّعلكة:**

أ) لغة: نجد للّصعلكة معاني عديدة ومتعدّدة في المعاجم اللّغوية، ومنها:

قال" ابن سيده" (458ه) في " المحكم والمحيط الأعظم": ((والصّعلوك الذي لا مال له، وقد تصعلك، قال حاتم الطّائي:

غنينا زَماناً بْالتّصَعلُك وَالغِنى فَكُلّاً سَقاناهُ بِكَأسَيهِما الدَّهرُ.

وتصعلكت الإبل: خرجت أوبارها وانجردت، ورجل مصعلك الرّأس مدؤره، وصعلك الثّريدة: جعل لها رأسا، وقيل رفع رأسها))[1].

وجاء في معجم "الصّحاح" للجوهري (393ه): ((الصّعلوك: الفقير، وصعاليك العرب: ذؤبانها، وكان "عروة بن الورد" يسمّى عروة الصّعاليك لأنّه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ممّا يغنمه، والتّصعلك: الفقر، قال الشاعر: "**غنينا زمانا بالتّصعلك والغنى**"، ويقال تصعلكت الإبل: إذا طرحت أوبارها))[2].

[1] أبو الحسن ابن اسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 2000م، ص416.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م، ص ص 1586- 1597.

ومن خلل تعريف الجوهري يتبيّن لنا أنّه متّفق تماما مع "ابن سيده" حول معنى الفقر والتجرّد إلاّ أنّه زاد عليه بقوله: (والصّعاليك العرب ذؤبانها).

وعند العودة إلى مادّة "ذأب" في الصّحاح نجده يقول: ((وذؤبان العرب أيضا: صعاليكها الذين يتلصّصون))[1].

ومن خلال هذا فإنّ كلمة "ذؤبان" تحيلنا إلى وظيفة اجتماعية، أي أنّها تجعل لكلمة "الصّعاليك" معنى اجتماعي عند اقترانها بوصف "الذؤبان"، فالصّعلوك ليس بالفقير وحسب، وإنّما لها معنى آخر وهو اللّحن، ومن ثم صاحب الصّحاح تقدّم بنا قليلا نحو الاستعمال العرفي، أو المعنى المتداول للفظة "الصّعاليك" وقد أكّد ذلك "عبد الحليم حفني" بقوله: ((إذن فلا شكّ بأنّ الوصف بكلمة "لص" أو بكلمة "ذئب" يساوي تماما الوصف بكلمة "صعلوك" من حيث الاستعمال العربي، وأنّ اختلاف الألفاظ لا يعني شيئا))[2].

أمّا صاحب "لسان العرب" (711ه) فيعرّف الصّعلوك بقوله: ((الصّعلوك الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد، وقد تصعلك الرّجل إذا كان كذلك، قال حاتم الطّائي:

غنينا زَماناً بْالتّصَعلُك وَالغِنى فَكُلّاً سَقاناهُ بِكَأسَيهِما الدَّهرُ.

أي عشنا زمانا. وتصعلكت الإبل: خرجت أوبارها وانجردت وطرحتها، ورجل مصعلك الرّأس مدوره، ورجل مصعلك الرّأس صغيره، والتّصعلك: الفقر، وصعاليك العرب: ذؤبانها، وكان عروة بن الورد يسمّى عروة الصّعاليك، لأنّه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ما يغنمه))[3].

[1] إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللّغة وصحاح العربية، ص ص 1586- 1597.

[2] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامّة للكتاب، د.ط، 1987م، ص34.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم مجد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، م4، ج27، ص ص 2451-2452.

والذي يهمّنا في هذا تعريف "ابن منظور" هو قوله: (زاد الأزهري، ولا اعتماد)، وهنا يبدو واضحا تفطّن الأزهري إلى التّفريق بين الفقير والصّعلوك، فالصّعلكة إذن تعني الفقر والتجرّد من المال والحرمان الذي يعانيه نتيجة فقره.

ومن خلال ما جاء به من تعاريف اللّغويين لمادّة "صعلك" نلاحظ أنّ السّمة الأساسية في الصعلوك هي الفقر، وعندما ((نرجع إلى أخبار هؤلاء نجدها حافلة بالحديث عن فقرهم، فكلّ الصّعاليك فقراء لا نستثني منهم أحد، حتى عروة بن الورد سيّد الصّعاليك الذي كانوا يرجعون إليه كلّما قست عليهم الحياة، ليجدوا عنده مأوى لهم حتى يستغنوا، فالرواة يذكرون أنّه كان صعلوكا فقيرا مثلهم))[1].

وأخيرا تبدو الصّعلكة من خلال المعاجم اللّغوية مرضا لظاهرة اجتماعية منبوذة ومذمومة، يؤدّي إلى انحطاط صاحبه وتدمّره وهوان أمره، ويتّصف بصفات تسيء له وتحطّ من قيمته، وأنّه عالة على المجتمع وهو يشبه الذئب المغترب الذي ينهش فريسته عندما يكون جائعا وفي هذا المعنى يقول عروة:

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ

وَ أَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ

وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَغيرُ.[2]

ولكنّ الصعلوك لم يرض بهذا ولم تصبر نفسه على هذه الحياة، فقرّر خوض غمارها بهذا السّبب واجتياز المخاطر والمغامرة بالنّفس ممتهنا حرفة الغزو والقتل.

من هنا نستطيع القول إنّ مصطلح "الصّعلكة" ذو استعمالين، استعمال لغوي يعني الفقر الذي يجرّد الإنسان من ماله، واستعمال عرفي اجتماعي يدلّ على الصّفات التي يتحلّى بها الفرد داخل مجتمعه،

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب للطّباعة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص22.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 51

((فيدفعه الفقر إلى حالة من حالات التمرّد على القيّم والتّقاليد ويبدأ بمواجهة الحياة منفردا، وقد يسلك في ذلك طرق الاغتصاب والسّلب والنهب والقتل والجريمة، ويعتمد في ذلك على الفروسية والقوة، والسّيف والرّمح))[1].

ب) اصطلاحا:

تعرّفنا فيما يبق عن المعنى اللّغوي للصّعلكة، وتحديد مدلولها في الاستعمال الأدبي أو كما أقرّها العرف العربي والاجتماعي ومن هنا سنتعرّف على معناها الاصطلاحي وهو كالآتي:

تعريف أورده صاحب" جمهرة أشعار العرب" وهو "أبو زيد القرشي"(ق5ه)، يعرّف الصّعلوك بقوله: ((الصّعلوك: الفقير، وهو أيضا المتجرّد للغارات))[2]. حيث يمكننا القول بأنّ هذا التعريف حدّد المعنى الاجتماعي للصّعلكة، إذ نظر إليه بأنّه ذلك الفقير الذي لا مال له، أو ذلك الشّخص الذي سخّر نفسه للغارة والغزو.

نجد أنّه يدلّ أيضا على: ((الصّعاليك هم فئة خاصّة تتميّز عن المجتمع بطابع خاص شعاره الاعتزاز بالنّفس دون الأهل أو القبيلة، وسيلة العدوان في أي صورة تتهيّأ له فيقطع الطّريق حينما يتاح له قطعها، ويسطو ويغزو متى وجد إلى ذلك سبيلا ويفتك حينما تمكّنه الغرّة ويتلصّص إن لم يجد ما سبق وسيلة ويجعل غايته من ذلك كلّه الحصول على الغنى والمال في أغلب الأحيان أو تحقيق مآرب خاصّة دائما))[3].

[1] محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الجاهلي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص28.

[2] أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص 453.

[3] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، ص16.

ومن خلال هذا التّعريف اتّضح أنّ الصّعاليك هم طائفة تمرّدوا على الأهل والقبيلة وفضّلوا الصّحراء القاحلة موطنا لهم بدل من بيوتهم وعشائرهم وكلّ ما كانوا يفعلونه من ظلم وعدوان وكره، نتيجة الظروف القاسية.

وفي تعريف آخر للصّعلكة: ((هي حركة ثائرة على النّظام القبلي، شارك فيها أفراد خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم وجرائمهم وآخرون من الحبشيات أخذوا منهنّ سواد اللّون، فنبذهم المجتمع ظلما وهو أغربة العرب))[1]. ومعنى هذا أنّ هؤلاء الفئة من الصّعاليك منبوذة من المجتمع حيث اختلفت أسبابهم للخروج إلى التّصعلك من فئة لأخرى فمنهم أبناء الحبشيات السود اللّواتي نبذن من طرف آبائهم ولم يلحقوا بهم لعار أمّهاتهم.

وجاء صاحب "الأغاني" بخبر "السّليك ابن السّلكة" يقول فيه: ((قال المفضّل: وزعموا أنّ سليكا خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرئ القيس مناة بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم، وهو يردّ الغارة، فمرّ على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشيّة فيها ضباب ومطر، فإذا هو بيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى، فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي أصحاب هذا البيت، فلعلّي أصيب لكم خيرا، أو آتيكم بطعام، فقالوا افعل، فانطلق وقد أمسى وجنّ عليه اللّيل فإذا البيت بيت" رويم" وهو جدّ "حوشب بن يزيد بن رويم"، إذا الشيخ وامرأته بفناء البيت، فأتى السّليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن راح ابنه بإبله، فلمّا أرادها غضب الشّيخ، وقال لابنه: هلّا عشّيتها ساعة من اللّيل؟ فقال له ابنه: إنّها أبت العشاء، فقال: العاشية تهيّج الآبية، فأرسلها مثلا، ثم غضب الشّيخ ونفض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشّيخ حتى مالت بأدنى روضة فرتعت، وجلس الشّيخ عندها لتتعشّى، وغطّى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك، فلمّا وجد الشّيخ مغترّا ختله من ورائه فضربه فأطار رأسه وصاح الإبل فطردها))[2].

[1] رزاق زهور، الدلالة الصوتية في شعر الصعاليك، عروة بن الورد أنموذجا، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللّغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014م- 2015م، ص7.

[2] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج20، ص381.

ومن ذلك أيضا ما أورده ابن قتيبة (ت 276ه) من خبر "أبي الطيحان القيني" قال: وقيل له: ما أدنى ذنوبك؟ قال ليلة الدّير، قيل له: وما ليلة الدّير؟ قال: نزلت بديرانية، فأكلت عندها طفشيلا* بلحم خنزير، وشربت من حمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها ومضيت))[1].

وأرى بأنّ القدماء وما تداول مع أخبار بأنّ الصعلوك ليس بالفقير، بل نظروا إليه نظرة الفارس الفاتق الذي يهابه الجميع، ((فمن الواضح أنّ الصّعاليك هنا ليسوا هم الفقراء، ولكنّهم طوائف من قطّاع الطّرق، كانوا منتشرين في أرجاء الجزيرة العربية ينهبون ما يلقونه في صحرائها الموحشة الرّهيبة، ويتلعّبون ويتخطّفون، ويأكلون ماله))[2].

يتبيّن من خلال التّعريف الاصطلاحي للصّعلكة أنّها ظاهرة اجتماعية ظهرت منذ العصر الجاهلي، وهو سلوك عدواني اتّخذه الفقراء والمعدميش ذوي النّفوس القوية في سبيل الهروب من الذّل والتّسوّل وتمرّدهم على النّظم السّائدة في مجتمعهم، فبرز المعنى العرفي الذي يدلّ على السّلب والنّهب والتّجرّد من أجل انتزاع الحقوق، وتميّزوا عن غيرهم بالصّبر والشّجاعة عند المدن فكان الغزو إحدى سمات العصر.

وللصّعلكة في الأدب معنيان، قديم وحديث أمّا في القديم فيقول "يوسف خليف": ((إنّ الصّعلوك هو الفقير الذي يواجه الحياة وحيدا وقد جرّدته من وسائل العيش فيها، وسلبته كلّ ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها، فالمسألة إذن ليست فقرا فحسب، ولكنّه فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسدّ مسالكها أمامه))[3].

ثم ذكر لها معنى آخر في منظورها الاجتماعي، فيقول: ((وأمّا الدّائرة الاجتماعية فتتّسع وتبعد عن نقطة البدء لتنتص، أو لتحاول أن تنتهي بعيدا عنها، يبدأ الصعلوك فقيرا ثمّ يحاول أن يتغلّب على الفقر

* الطفيش: نوع من المرق.

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت، ج1، ص388.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص20.

[3] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص23.

الذي فرضته عليه أوضاع اجتماعية أو ظروف اقتصادية، وأن يخرج من نطاقه ليتساوى مع سائر أفراد مجتمعه، ولكن من أجل هذه الغاية لا يسلك السّبيل التعاوني وإنّما يدفعه عدم توافقه الاجتماعي إلى سلوك سبيل الصّراع فيتّخذ من الغزو والإغارة السّلب والنّهب وسيلة يشقّ بها طريقه في الحياة، فيصطدم بمجتمعه الذي يرى فيه هذه الفوضوية الفردية مظهرا من مظاهر التمرّد، وتنقطع الصّلة بين المجتمع والصّعلوك فيتخلّى المجتمع عنه ويحرمه حمايته ويعيش الصّعلوك خليعا مشرّدا أو طريدا متمرّدا حتى يلقى مصرعه، فأمّا أعداؤه فقد استراحوا من هذا الفزع الذي كانوا يترقّبونه في كلّ حين، كما يترقّب غائبا منظرا أهله، وأمّا أصدقاؤه فقد سقط أحدهم في سبيل فكرته بعد أن أدّى رسالته في الحياة))[1].

أمّا الدكتور" عبد الحليم حنفي" فقد أعطى تعريفا آخرا للصّعلكة يقول فيه: ((هو احتراف السّلوك العدواني بقصد المغنم، ويعنى الاحتراف ملازمة العمل الذي يشبه الحرفة من حيث استمراره ومن حيث كونه العمل الأساس في حياة صاحبه، والمورد الأساس لمعيشته ورزقه أيضا، ووضعه في التّعريف- أي الاحتراف- كعراك بعض القبائل على بعض وكمزاولة بعض الأفراد لأعمال الصّعلكة في غير احتراف))[2].

وعلاوة على هذا فإنّ مفهوم الصّعلكة في العصر الحديث يختلف عن سابقه فلم تعد تلك الفئة التي تقطع الطّريق وتنهب الأغنياء لحساب الفقراء، بل أصبحوا فئة واعية مثقّفة.

والصّعاليك كانوا يفشون مجالس السّمر، ويطنبون في الحديث أي يتوسّعون فيه لدرجة الخروج عن الأدب فلا يهتمّون بالآخرين في ذلك، يقول "محمد فهمي عبد اللّطيف" : ((كانوا جيلا من أهل الأدب والفن، يمكن أن نسمّيهم فلاسفة، ويمكن أن نقول إنّهم صعاليك، وكانوا يعيشون على طريق الحياة تجمعهم الميول المتوافقة والطّبائع المتشابهة، والرّوح الفنيّة المنطلقة، والنّظر إلى هذه الدّيار في اتّجاه واحد وعلى بعد واحد، وكانوا بطبائعهم أهل تحرّر وتحلّل، يضيفون لتلك الأوضاع والقيود التي يفرضه النّاس على

[1] المرجع نفسه، ص60.

[2] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، ص38.

أنفسهم فرصا في الحياة وبذلك الالتفاف الاجتماعي الذي يتكلّفونه تكلّفا ممقوتا سمحا في أمورهم العامّة والخاصّة، حتى في سلوكهم مع أنفسهم وبينهم وبين ضمائرهم، وكانوا يحبّون الحياة واضحة صحيحة بعيدة في سيرها عن التّكلّف والتّصنّع ويتمنون لو يكون الناس واضحين في سلوكهم صرحاء، فلا يشقون على أنفسهم ولا يشقونها بذلك النّفاق البغيض الثقيل وبذلك التّمويه الكاذب المخادع الذي لا يجعل للحياة طعما ومذاقا، ولا يجلب للنّفس سوى الكآبة والعناء، وكانوا أعداء لذلك الشيء الزائل الذي يسمّيه النّاس" المال" ويرونه مادّة السّعادة في الحياة فكانوا لا يحفلون بهذه المال في كثير ولا قليل، وإذا طلبوه أو سعوا إليه فلأجل أن يقتلوه إسرافا وتبذيرا وليكونوا سادة عليه لا أرقاء عليه.[1]

وخلاصة القول فإنّ صعلوك العصر الحديث هو إنسان يحبّ المرح والحرية ويرفض تماما القيود الاجتماعية، ويحب الحرية والصّحبة الصّادقة والمريحة، ويحارب ويقاطع سطوة رأس المال التي تعطى لأصحابها" الرّشوة"، صاحب رأي ومذهب خاصّ به وينظر ويخطّط للحياة على حسب ما يعرفه وماله من خبرة فيها.

- **ثانيا- سمات مجتمع الصّعاليك:**

إنّ الباحث والقارئ لتاريخ العصر الجاهلي من خلال الكتب المخصّصة في هذا المجال نجدها حافلة بالحديث عن فقراء الصّعاليك، فكلّ الصّعاليك فقراء سيّد الصّعاليك الذي كانوا يلجؤون إليه كلّما قست عليهم الحياة ليجدوا عنده مأوى حتى يستغنوا، فالرّواة ((يذكرون أنّه كان صعلوكا فقيرا مثلهم))[2]، وفي هذه الأبيات الشّعرية تنشده عن فقره وعوزه، وما كابده من حرمان، فيقول:

[1] محمد فهمي عبد اللّطيف، فلاسفة وصعاليك، دار القومية للطّباعة والنّشر، د.ت، ص5.

[2] شرح حماسية أبي تمام، التبريزي، تح: محمد محي الدّين عبد الحميد، الشعراء الصّعاليك، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358هـ، ص30.

وَمَن يَكُ مِثلي ذا عِيالٍ وَمُقتِراً مِنَ المالِ يَطرَح نَفسَهُ كُلَّ مَطرَحِ[1].

وغيره من الصّعاليك ذكروا الصّعلكة ومظاهر وتجلّياتها بين الجوع والعوز فجاء في قول السّليك بن السّلكة:

وَما نِلتُها حَتّى تَصَعلَكتُ حِقبَةً وَكِدتُ لأَسبابِ المَنيَّةِ أُعرَفُ

وَحَتّى رَأَيتُ الجُوعَ بِالصَيفِ ضَرَّني إِذا قُمتُ تَغشاني ظِلالٌ فَأُسدِفُ[2].

من خلال ما جاء به نلاحظ بأنّ صعلكته مكتسبة ومضطر إليها نتيجة الجوع والحرمان، وهذا ما دفعه لها فهذه ليست من شيمه الأصيلة، ولا يتّصف بهذه اللّصوصية والسّرقة والقتل وغيرها من أفعال العنف، ومن هذه الأخبار ما ورد عن الشّنفرى:

وَلَولا اجتِنابُ الذَأمِ لَم يُلفَ مَشرَبٌ يُعاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأكَلُ

وَلَكِنَّ نَفساً مُرَّةً لا تُقيمُ بي عَلى الذَأمِ إِلّا رَيثما أَتَحَوَّلُ

وَأَطوي عَلى الخُمصِ الحَوايا كَما اِنطَوَت خُيوطَةُ مارِيٍّ تُغارُ وَتُفتَلُ

وَأَغدو عَلى القوتِ الزَهيدِ كَما غَدَا أَزَلُّ تَهاداهُ التَنائِفُ أَطحَلُ

غَدا طاوِياً يُعارِضُ الريحَ هافِياً يَخوتُ بِأَذنابِ الشِعابِ وَيَعسَلُ[3].

وتماشيا مع ما تمّ ذكره يجد نفسه تعيش معاناة العوز والجوع والفقر والحاجة إلى متطلّباتها، ومع كلّ هذا تأبى الحفاظ على شموخها وكبريائها وأنفتها، ممّا يبيّن لنا أنّ التمرّد الذي عاشه الصعلوك إنّما هو صورة للتمرّد على حساب المجتمع وقيوده المتسلّطة أحيانا، فمنهم من هرب من قبيلته وعاش الفقر على أن يُحتقر في المجتمع.

عاش الصّعلوك حياة كدّ وشقي ومنبوذ من إنسانيته، وقد خلع من كلّ وسائلها المشروعة، فلا يجد لنفسه إلاّ أمرين مخيّر فيهما:

[1] عروة بن الورد، شرح ودراسة: أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص99.

[2] حميد آدم، كامل سعيد عواد، ديوان السليك بن السليكة، أخباره وشعره، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1، 1984م، ص60.

[3] إيميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص ص 63-64.

- الأمر الأوّل: أن يقبل الحياة الذليلة المهينة التي يحياها على هامش المجتمع في أطرفه البعيدة خلف أدبار البيوت، يخدم الأغنياء أو ينتظر فضل ثرائهم، أو يستعبدونه في ذل واستكانة.
- الأمر الثاني: أن يشقّ طريقه بالقوّة نحو حياة كريمة أبيّة، ويفرض فيها نفسه على مجتمعه، وينتزع لقمة العيش من أيدي من حرموه منها دون أن يبالي في سبيل غايته، سواء أكانت وسائله مشروعة أو غير مشروعة[1].

وهذا فسّر مضامين الخطاب لهؤلاء الشّعراء الصّعاليك، ((إذ تجد في شعرهم من حين لآخر تقديم مبرّرات وتفسيرات بصرف النّظر عن قبولها أو صحّتها للمجتمع أو القارئ بما تحمله من قصد كسب الودّ والعطف منهم، وأنّ هذا الأمر- التّصعلك- لم يكن بأيديهم فقط، وإنّما كان بسبب ظلم المجتمع وقسوته وقهره لهم في كثير من الأحيان وعدم العطف عليهم في أحيان أخرى))[2].

وقد كوّن الصّعاليك عصابات لتسلب المال من الأغنياء، وهي مكوّنة من مجموعة من الشّباب الطّائشين الخارجين عن قيّم وعادات قبائلهم، فكان يهابهم العرب، ((ومنهم من قبل جوار الصّعاليك وردّ عنهم وأحسن إليهم، فاستفاد منهم واستفادوا منه))[3].

يمكن تمييز هذه الطّوائف وتقسيمها إلى ثلاث عصابات رئيسية، وهي على الشّكل التالي:

1) طائفة الخلعاء والشذاذ: وهم أولئك الذين طردتهم قبائلهم من حماها وتبرّأت منهم وأعلنت أنّهم لم يعودوا ضمن وصايتها ولا تحت حمايتها، فهم لا يمثّلونها وهي لا تمثّلهم ولا توجد صلة بينها وبينهم، وعلى هذا الأساس فهي لا تتحمّل تصرّفاتهم ولا تحتمل لهم جريرة ولا تطالب بأخرى يجرّها أحد عليهم، وكان يتمّ هذا الإعلان أو هذا التبرؤ عادة في الأسواق التي تؤمّها القبائل العربية فينادي بأنّ فلانا قد تمّ خلعه من قبيلته، ومن يومها يصبح هذا الشخص بلا مأوى ولا حماية، فتصبح الصّعلكة هي

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 35.

[2] مذكر القحطاني، شعر الصعاليك نظرة في الرؤية والأداء، مجلة كلية العلوم والآداب، السعودية، جامعة الحدود الشمالية، السعودية، 1444م/ 2022م، ص 750.

[3] جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد في نشره، ط2، 1993م، ص413.

وسيلته الوحيدة لضمان حياته وتأمين رزقه، ومن الصّعاليك الذين يمثّلون هذه الطائفة "حاجز الأزدي" و"قيس بن الحدادية" و"أبي الطحان القيني"[1]، فهؤلاء الشّعراء طردوهم من قبل قبائلهم بسبب مشاكلهم وتحريض أهل القبيلة، فأصبحوا بلا مأوى ولا قبيلة لتحويهم فاضطروا إلى التّصعلك لتدبير أمورهم اليومية.

2) **طائفة الأغربة السود:** والعرب تخلق لفظ أو تسمية الأغربة على أولئك الأشخاص من أبناء الإماء السود أو الحبشيات، الذين سرى إليهم سواد أمّهاتهم، وكانت العرب فيما عرفت عنها تبغض لون السّواد بقدر ما تحب لون البياض، ومن ثم كان لونهم هذا حاجزا دون اعتراف آبائهم بهم، ضف إلى ذلك فهم من الهجناء لأنّ دماءهم ليست عربية صريحة بل خالطها دمٌ أجنبي لا يصل في نقائه إلى درجة نقاء الدّم العربي ومن أولئك نذكر: "تأبّط شرا" و "الشنفرى" و "السليك بن السلكة"، فالسود بخروجهم عن المجتمع وبرفضهم له في الظاهر أو الباطن، يركّزون على الفرد لا على النّوع حيث أنّ الفرد عندهم كما هو الحال عند الوجوديين أي أنّه الوجود الحقيقي، أمّا النّوع الإنساني فصورة ليست لها حقيقة خارجة عن الوجود ومتى كان الفرد المحسوس هو الوجود الحقيقي فإنّه لا ينبغي التّضحية به من أجل صورة لا وجود لها في عالم الحقيقة[2]. فهم بهذا الخروج أثبتوا أنفسهم في الوجود للعرب البيض ومسح التّفريق بينهم أي محاولة القضاء على العنصرية.

3) **طائفة الفقراء المتمرّدين:** وكان القاسم المشترك بين أفراد هذه الطّائفة هو الفقر المدقع، إنّه الفقر الذي يغلق أبواب الحياة والذي يدفع بصاحبه إلى نوع من عدم التّوافق الاجتماعي، فيصنع منه متمرّدا ساخطا على المجتمع الذي يعيش فيه، وكانت صعلكته تنطوي على أفكار فلسفية ومسوّغات نظرية تحمل بذرة الثورة على الأوضاع السياسية والاقتصادية وغيرها التي ترفع أناسا فوق الرّؤوس وتضع أناسا في الحضيض الأسفل ومن الذين جسّدوا هذه الطّائفة: "عروة بن الورد" ومن كان يلتفّ

[1] عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، دراسة منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982م، ص130.

[2] عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1988م، ص316.

حوله من الفقراء العرب وكذا تلك الجماعة الكبيرة من صعاليك "هذيل"، حتى أنّه قد عرف عن "هذيل" أنّها قبيلة الغزاة الشذاذ، أجل كثر فيها هؤلاء الذين اعتادوا أن يقيموا حياتهم على ما ينهبونه من غيرهم، والصراع في ذلك يأخذ طريقين: طريقا جماعيا ترضاه القبيلة وترسم له وتسير فيه، وطريق فردي كان في الحق بابا هاما من أبواب الرّزق في حياة الصعاليك الذؤبان[1].

- **ثالثا- أسباب الصّعلكة:**

تعدّدت واختلفت الدوافع التي أدّت إلى ظهور الصّعلكة من فئة لأخرى، كلّ حسب ظروفه وبيئته ومجتمعه ويمكن حصر هذه الأسباب كالآتي:

1. الفقر:

لقد أسهم الفقر بشكل كبير في ظهور الصّعلكة حيث ((أجمعت كتب اللّغة ومجامعها كما رأينا وكذلك دوائر المعارف التي أخذت عنها على أنّ أصل الصّعلكة هو الفقر، ولاشكّ أنّ هذا يلقي ضوء قويا على نشأة الصّعلكة وكذلك حياة الصعاليك المادية، حيث يتّضح من هذا الضوء أنّ من أبرز ما قامت عليه الصّعلكة في نشأتها وحياتها الفقر، وشعر الصعاليك نفسه ينطق بهذه الحقيقة، بل يمكن أن يقال إنّ الفقر كان أبرز المعاني التي تردّدت في شعرهم على الاطلاق بل نكاد لا نجد شاعرا منهم، لم يتحدّث عن الفقر في صورة من صوره، وصور الفقر عند الصّعاليك لم تكن تمثّل فقرا عاديا وإنّما فقرا قاسيا، وكانت آثاره من الجوع والهزال والحرمان معنى في القوة))[2].

ونلاحظ أنّ الدافع الأكبر للصّعلكة هو الفقر، فشعر الصّعاليك لا يخلو من الحديث عن الفقر، فيصير الفقر هوس الصّعلوك الذي غزا حياته وهو ليس بالأمر العادي وإنّما هو أشدّ قسوة. حيث ((ينظر هؤلاء الفقراء الجياع المحتقرون من مجتمعهم المنبوذون من إخوانهم في الإنسانية إلى الحياة ليشقّوا لهم

[1] أحمد كمال زكي، شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، دط،1969م، ص27.

[2] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص55.

طريقا في زحمتها وقد جرّدوا من كلّ وسائلها المشروعة، فلا يجدون أمامهم إلاّ أمرين إمّا أن يقبلوا هذه الحياة الذليلة المهينة التي يحيونها على هامش المجتمع في أطرافها البعيدة خلف أذبار البيوت يخدمون الأغنياء أو ينظرون فضل ثرائهم، أو يستجدّونهم في ذلّة واستكانة، وإمّا أن يشقّوا طريقهم بالقوّة نحو حياة كريمة أبيّة، يعرضون فيها أنفسهم على مجتمعهم وينتزعون لقمة العيش من أيدي من حرموهم منها، دون أن يبالوا، في سبيل غايتهم، أكانت وسائلهم مشروعة أم غير مشروعة، فالحقّ للقوّة والغاية تبرّر الوسيلة))[1].

فهذه الفئة من الفقراء المساكين المحطّمين المحتقرين من قبل المجتمع، والمستغلّين من طرف الأغنياء، والواقع أنّ الفقر ليس جديدا على البيئة العربية خاصّة أصحاب البدو، فقد كان الفقر بارزا وعنصرا مهمّا في ظهور هذه الظّاهرة في العصر الجاهلي، يقول عروة بن الورد:

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ
وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَغيرُ
وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ يَكادُ فُؤادُ صاحِبُهُ يَطيرُ
قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ وَلَكِن لِلغِنى رَبٌّ غَفورُ[2].

في هذه الأبيات تعرّض "عروة بن الورد" إلى مجتمع مستبدّ يقلّل ويهين من شأن الفقير، ويرفع من شأن الغني ويعطيه مكانة فحسب، فالشاعر لم يقبل بهذا الظّلم والجور واعتبره إهانة في حقّه وحقّ الفقراء فأشفق عليهم وثأر لهم من الأغنياء، و((لقد وقع نظر عروة بن الورد على مجتمع متعسّف، يحتقر الفقير لأنّه فقير وحسب، ويحيل الأغنياء لا لشيء أيضا ألاّ أنّهم أغنياء فتألّم لذلك وأعلن الثورة على الأغنياء))[3].

ومن زاوية أخرى يرسم لنا "السليك" فقره وما لحقه من جوع وحرمان وعوز، فقال:

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 33.
[2] عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1998م، ص79.
[3] إبراهيم الخواجة، عروة بن الورد، حياته وشعره، مطبعة لنصر، نابلس، ط2، 1987م، ص 98.

وَما نِلتُها حَتّى تَصَعلَكتُ حِقبَةً وَكِدتُ لأَسبابِ المَنيَّةِ أُعرَفُ

وَحَتّى رَأَيتُ الجُوعَ بِالصَيفِ ضَرَّني إذا قُمتُ تَغشاني ظِلالٌ فَأُسدِفُ[1].

فالسّبب الذي دفعه إلى الغزو، والتّصعلك هو الفقر والجوع، للبحث عن المال وسدّ قوت يومه.

أَشابَ الرَأسَ أَنّي كُلَّ يَومٍ أَرى لي خَالَةً وَسطَ الرِجالِ

يَشُقُّ عَلَيَّ أَن يَلقَينَ ضَيماً وَيَعجِزُ عَن تَخَلُّصِهِنَّ مالي[2].

فالفقر يجعل صاحبه عاجزا ومربّط الأيدي ويرى الظّلم بعينه ولا يمكنه الدّفاع عن نفسه وانتهاك لحرمته، ف "السليك" وصف لنا معاناته بكلّ حرقة، ومن جهة أخرى وصف لنا "الشنفرى" جوعه وصفا مفصّلا حيث يقول:

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَ ايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ[3].

نستنتج من هذا كلّه أنّ الفقر يعدّ السّبب الرئيسي في بروز وانتشار ظاهرة الصّعلكة، ودفع الصعاليك للثورة على الأغنياء، وطمس هويتهم وحقوقهم وعدم ثقتهم بأنفسهم وهذا سببه المجتمع الظالم الذي فرّق بين فئاته وجعلهم عنصرا مهمّشا في المجتمع ((فالمال الذي لم يكونوا عاجزين عن إدراكه بالوسائل المشروعة، غير أنّ مجتمعهم كان ظالما فلم يهيئ لهم سبل العيش لهوام منزلتهم الاجتماعية، فشعروا بذلّ الفقر شعورا حادا ونقموا على المجتمع الذي لا يجعل العدالة ميزانا له، والذي يعيشون في ظلّه بينما ينهش الجوع أحشاءهم في هذه الصّحراء القاحلة الرهيبة، فحاشت نفوسهم على الثورة ضد هذا المجتمع الظالم))[4].

2. غياب الدّولة والسّلطة الجامعة:

[1] سعد الضناوي، ديوان السليك، دار الكتاب العربي، دط،1994م، ص84.

[2] المرجع نفسه، ص89.

[3] إيميل يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص63.

[4] محمد مصطفى هدارة، دراسات في الشعر الجاهلي، طبعة دار المعارف، 1982م، ص5.

من المعروف عند العرب قبل الإسلام أي بالتّحديد في شبه الجزيرة العربية كان يغلب عليهم الطابع القبلي ، أي أنّهم لم يعرفوا الدّولة الجامعة التي تخضع لقوانين وأحكام محدّدة، لتفرض قوانينها وتسيّر شؤون المجتمع، وهذا ما أدّى إلى ظهور الصّعلكة ((لسنا نعني الشّكل الظاهري لمعنى الدّولة الجامعة، وإنّما نعني عدم وجود قوّة حيوية متحرّكة تسيطر على الأمّة، ويحسّ أفراد شعب هذه الأمّة بأنّهم مرتبطون بهذه القوة، وخاضعون لها خضوعا يؤثّر في سلوكهم، وليس من اللّازم ان تكون هذه القوة في شكل دولة بالمعنى المفهوم للدّولة، بل قد تكون كذلك وقد تكون هذه القوّة في صورة قانون يخضع له أفراد الأمّة ويحسّون بسلطانه على نفوسهم وسلوكهم))[1].

إنّ عدم وجود قوّة ديناميكية تثبت سيطرتها على المجتمع ويشعر أفرادها أنّهم تحت سيطرتها وقوّتها وتفرض عليهم قوانين لتطبيقها ليحسّنوا تصرّفاتهم، يجعل التمرّد والتصعلك أمرا عاديا فالمجتمع بدون دولة يصبح مجرد قانون غاب.

لقد رفض الصّعاليك خضوعهم لهذه السّلطة ((لأنّهم لا يؤمنون بأيّ سلطان من أي نوع، ونجد هذه النّزعة شائعة في شعرهم))[2]، حيث يقول "الشنفرى" في لاميّته معبّرا عن ثورته على المجتمع بالهجرة وفضّل حياة الوحوش على بقائه معهم:

أقيموا بني أمي، صدورَ مَطِيكم فإني، إلى قومٍ سِواكم لأميلُ!

فقد حمت الحاجاتُ، والليلُ مقمرٌ وشُدت، لِطياتٍ، مطايا وأرحُلُ؛

وفي الأرض مَنْأىً، للكريم، عن الأذى وفيها، لمن خاف القِلى، مُتعزَّلُ

لَعَمْرُكَ، ما بالأرض ضيقٌ على أمرئٍ سَرَى راغباً أو راهباً، وهو يعقلُ[3].

[1] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، ص42.

[2] أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، مذكرة ماستر، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة، 2007م، ص5.

[3] عمر بن مالك، ديوان الشنفرى، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م، ص58.

فالشّنفرى في هذه الأبيات فضّل الذئاب والضّباع والنّمور عن مجتمعه القاهر والهجر أحسن من البقاء عندهم، فهذه الحيوانات هي أهله، فهي لا تغدره مهما فعل، بل تحميه وتنصره.

ومن منظور آخر نجد "تأبّط شرا" هو الآخر تمرّد على القبيلة وأعرافها، محاولا فرض هيمنته عليها حيث يقول:

إِنّي زَعيمٌ لَئِن لَم تَتْرُكي عِذَلي أَن يَسأَلَ الحَيَّ عَنّي أَهلَ آفاقِ

أَن يَسأَلَ القَومُ عَنّي أَهلَ مَعرِفَةٍ فَلا يُخَبِّرُهُم عَن ثابِتٍ لاقِ

لَتَقرَعَنَّ عَلَيَّ السِنَّ مِن نَدَمٍ إِذا تَذَكَّرتَ يَوماً بَعضَ أَخلاقِ[1].

فالشعراء الصعاليك وغيرهم رغم ضعفهم وقلّة إمكانياتهم يرفضون الخضوع للسلطان الظّالم ولا يتنازلون عن كرامتهم وحريتهم.

وخلاصة القول أنّ العرب في الجاهلية لم يعرفوا الدّولة الجامعة بمفهومها الجديد، بل كان عندهم الوطن تحميه القبيلة ونظام العصبية القبلية ((وهي إحساس الفرد برابطته القبلية وواجب تأيد مصالحها، والعمل لها بكلّ ما يملكه من قوة))[2].

وانطلاقا من كلّ ما جاء به فإنّ غياب السّلطة الحاكمة التي تحقّق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، فهي تمثّل عنصر القوّة للقبيلة، فغيابها أدّى إلى ظهور الصّعاليك والتّمرّد على قوانينها.

3. طبيعة الأرض في الجزيرة العربية:

امتازت الجزيرة العربية بطابعها الجغرافي الذي كان موطن آمن للصّعاليك، بصحرائها الشاسعة وجبالها العالية وقلّة المياه وصعوبة الطّقس، فهي ((مركز جدب وحرّ لقلّة المطر، وحياة أهل الصّحراء شديدة الارتباط بالمطر حيث سموه غيثا وحتى أنّهم كانوا يفرحون بمشاهدته فرحا عظيما، وقد حنّ

[1] يوسف فرحات، ديوان الصّعاليك، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص148.

[2] حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم- دار الجيل، بيروت، لبنان، 1985م، ص ص 88- 89.

الشعراء إلى الوقوف الطويل عند السّحاب والبرق والسّيل وما إلى ذلك وحتى أنّهم كانوا يجعلونه موضوع دعاء وفاتحة خير، واحتباس المطر هو احتباس الخير نفسه، فلا كلأ ولا ماء بلا جفاف وارتحال وضرب من الفلوك، والبلاد العربية لا تخلو من جبال وأقاليم ذات الخير الوفير))[1]، وهذا ما دفع الصّعاليك للتخلي عن الصّحراء، واتّخاذ مواطن أخرى كاليمن وواحات يثرب للاستلاء على خيراتها، أمّا بناء المجتمع ((فإيمان القبيلة بوحدتها وجنسها حيث أدّى إلى ظهور الخلعاء والشذاذ الذين طردتهم قبائلهم من حماها فلم يكن أمامهم إلاّ التّصعلك، والهرب إلى الصّحراء، وأدّى إيمانهم بجنسها إلى ظهور طبقة العبيد ووضعها في آخر السلّم الطّبقي بعد طبقة الصرحاء... والموالي وكانت هذه الطبقة تعاني من الازدراء والفقر والتّهميش الذي دفع بعض أفرادها إلى التمرّد على ذلك الواقع وتصعلكه وهروبه إلى الصّحراء))[2] ، بالإضافة إلى هذا انقسم المجتمع القبلي إلى أربعة طبقات، ثلاثة منها مسيطرة على الواقع الاقتصادي وهي طبقة سادة القبائل، وطبقة الملوك وطبقة الأثرياء والطّبقة الأخيرة للفقراء المهمّشين اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا نتيجة الطّبقة المسيطرة، ولا عجب أن نجد الشنفرى يصف لنا البرد الشّديد الذي يكسر القوس:

ليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها و أَقطُعَه اللاتي بها يتنبَّلُ

دَعَستُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصُحبَتي سُعارٌوإرزيزٌووَجْرٌو أَفكَلُ[3].

ومن وجهة أخرى وصف الحرّ الشّديد الذي لا يتحمّله مخلوق على وجه الأرض حتى الأفاعي:

ويومٍ من الشِّعرى يذوب لعابهُ ... أفاعيه في رمضائه تتململُ

نصبتُ له وجهي، ولا كِنَّ دونه ... ولا سِتْرَإلا الأتحميُّ المُرَعَبَلُ[4].

[1] المرجع نفسه، ص ص 91-92.

[2] هاني نعمة حمزة، شعر المهمّشين في عصر ما قبل الإسلام، ط1، دار الأمان، الرّباط، بيروت، لبنان، 2013م، ص 103.

[3] يوسف شكري فرحات، ديوان الصعاليك، ص ص 38- 48.

[4] المرجع نفسه، ص ص 47- 48.

نستنتج أنّ البيئة الصّحراوية قاسية أنجبت أولاد مثلها يألفونها، فلا عجب أنّ الصّعلوك محبّ لهذه الطبيعة الصّعبة فيعشق مجالسة جبالها والأماكن الموحشة التي يخافها غيرهم.

عرض الشعراء الصّعاليك كلّ ما وجدوه في الصحراء من أماكن وغيرها في أشعارهم، ((وأمّا المفاوز وأماكن الفقر والوحشة التي اختصّ الصّعاليك بألفتها والتّردد عليها فكثيرة ومنها "كراء" و"تيمن" اللّذان يذكرهما "عروة بن الورد"))[1]قائلا:

تَحِلُّ بِوادٍ مِن كَراءٍ مَـــضَلَّةٍ تُحاوِلُ سَلمى أَن أَهابَ وَأَحصَرا

وَكَيفَ تُرَجّيها وَقَد حيلَ دونَها وَقَد جاوَرَت حَيّاً بِتَيـــمَنَ مُنكَرا[2].

فالصّعاليك كانوا يدافعون على أنفسهم ورفضوا ذلّ القبيلة والانحطاط، ((والذي يعنينا من حديث هذه الأماكن أنّها كانت بمثابة حصون للصّعاليك حين يلمّ بهم الخطر أو يتعقّبهم طالبا أو مطارد، وما كان أكثر مطالبهم ومطارديهم لكثرة ما كانوا يجنون ويعتدون بل كانت أحيانا مستراحا لهم حتى حينما يشعرون بالضّيق من النّاس والنّفور منهم، وما كان أكثر ما يضيق الناس لهم ويضيقون بالناس، لما بين حياتهم وحياة الناس من اختلاف وتصارع، ولذلك نجد هذا المعنى شائعا في شعر الصّعاليك معبّرا عن روح النّفور من المجتمع والاستعداد بل الشّوق للهجرة إلى القفار والأماكن الموحشة بالذّات))[3].

إذن الأرض والطّبيعة عنصران مهمّان في ظهور الصّعلكة في المجتمع الجاهلي، والصّحراء كانت الملجأ الآمن لنفوسهم والابتعاد عن أعين الناس.

4. التمرّد والخروج عن الأعراف السّائد:

كان المجتمع الجاهلي يخضع للنّظام القبلي، حيث تحكمهم أعراف محدّدة وقوانين مفروضة على أفراد القبيلة، ((إنّ الشذوذ وسوء الخلق لا يكاد يخلو منه مجتمع، وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي

[1] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، ص 64.

[2] عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، 65.

[3] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، ص 66.

صارم، وبعقوبة شديدة في الإسلام، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرّأ من الشّخص الذي تكثر جرائمه وجناياته، بأن تعلن في مواسم الحج أو الأسواق أنّها خلعت فلانا فلا تطالب به إذا اعتدي عليه ولا يلحقها من جريرته شيء إن اعتدى على أحد فعرف هؤلاء بعد ذلك بالخلعاء مثل: قيس بن الحدادية، الذي خلعته خزاعة بسوق عكاظ على نفسها بخلعها إيّاه فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحد عليه))[1].

إذن فالصعلوك لا يحبّ القيود، فهو سيّد نفسه ويرفض الذّل والإهانة فهو يرضى بالقيم التي أسّسها لنفسه فيتماشى معها، ومن الشعراء المتمرّدين عن القبيلة "تأبّط شرا" الذي أخذ التمرّد خصلة للإنسان الكريم الذي لا يتقبّل الإهانة.

إِنّي زَعيمٌ لَئِن لَم تَترُكي عِذَلي أَن يَسأَلَ الحَيَّ عَنّي أَهلَ آفاقِ
أَن يَسأَلَ القَومُ عَنّي أَهلَ مَعرِفَةٍ فَلا يُخَبِّرُهُم عَن ثابِتٍ لاقِ
لَتَقرَعَنَّ عَلَيَّ السِنَّ مِن نَدَمٍ إِذا تَذَكَّرتَ يَوماً بَعضَ أَخلاقِ[2].

وهذا ما جعل الخليع يتألّم من مأزق الحياة والموت بحيث أكّد" حنّا الفاخوري" أنّ الخليع الذي ((سحبت منه الجنسية القبلية، ورفعت القبيلة عنه حمايتها، وطردته من حماها ولم يعد أمّامه إلاّ أحد الأمرين إمّا أن يفرّ إلى الصحراء ليلا إلى مصيره في البادية القاسية فقيرا مفردا لا اعتماد له على أحد، وإمّا أن يلجأ إلى من يحميه ويعيش في جواره))[3].

إذن طبيعة الصعلوك هي التّحرر من قيود السلطة وعدم اللّجوء لها، فالصعلكة والسلطة لا يجتمعان فالسلطة ضدّ الصعلكة والعكس كذلك، وأحيانا ما يثور الصعاليك على السلطة الحاكمة في المجتمع ف ((الشذوذ وسوء الخلق لا يكاد يخلو منه مجتمع، وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم، وبعقوبة شديدة في الإسلام، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرّأ من الشّخص الذي تكثر جرائمه وجناياته))[4].

[1] أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص9.
[2] يوسف شكري فرحات، ديوان الصعاليك، ص148.
[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص90.
[4] الأصفهاني، الأغاني، ص137.

- **رابعًا- الخصائص الفنية لشعر الصعاليك:**

تميّز شعر الصعاليك بمجموعة من الخصائص جعلته ينفرد عن غيره من الشعراء الآخرين ومن بينها نذكر:

1. شعر المقطوعات:

لم يكن للصعاليك الوقت لتنظيم قصائد طويلة وهذا ما يميّز شعرهم ((أنّه مقطوعات، ولسنا نعني بها انعدام القصيدة فيه، وإنّما نعني ذيوع المقطوعة أكثر من ذيوع القصيدة))[1].فكانت المقطوعة غالبة ومنتشرة بكثرة على القصيدة كاملة.

وعاش الصعاليك في الصحراء الموحشة رغم قساوتها فكان ذكيا وخطّط للفرار منها لسرعته ((الأمر لا شكّ فيه هو أنّ حياة الصعاليك كانت حياة قلقة مضطربة وأنّهم جميعا كانوا يعيشون شعورا عميقا بأنّها حياة قصيرة وبأنّهم دائما على موعد مع الموت الذي يترصّدهم ترصّد الموت، حتى كثر ذكر الموت عندهم وتردّد الحديث عنه في شعرهم مثلما كان يجيش في نفوسهم من إحساس عميق بقصر حياتهم وهل نظن شاعرا من طبيعة حياته يستطيع أن يفرغ لفنه يطيبه ويجوده ويعيد النظر فيه المرة بعد المرة؟ أظنّ أنّ الطبيعي أنّ مثل هذه الحياة التي لا يكاد الشاعر يفرغ فيها لنفسه لا تنتج إلاّ لونا من الفن السريع الذي يسجّل فيه الشاعر ما يشرب في نفسه في مقطوعات قصيرة موجزة))[2]. فكانت حياة الصعلوك ممهدة وصراع مع الموت الذي يهدّده دائما، فتحدث في شعره عنه وكان لهم طابع فنّي في مقطوعاتهم.

كان يعتمد الشعراء الصعاليك على المقطوعات الشعرية غالبا، أمّا القصائد الطويلة قليلة، ولكن نجدها أحيانا مثل تائيّة الشنفرى التي بلغ عدد أبياتها أربعة وثلاثين بيتا، ورائيّة "عروة بن الورد" ولاميّة"

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص259.

[2] المرجع نفسه، ص262.

عمر بن الكلب الهذلي" ذات ثلاثين بيتا.. وغيرها، وهذا حسب ما جاء به "هاشم صالح منّاع" أصداء لعثرات قليلة كانت تمرّ بحياة الشعراء الصعاليك حتى يستريحوا فيها من الكفاح في سبيل العيش فيفرغون لأنفسهم ويستخرجون من رواسبها العميقة فنا متأنّيا مطمئنا مطوّلا مجودا رائعا ممتازا[1].

فالصّعلوك كان يلجأ للقصائد الطوال عندما يريد الابتعاد وأخذ قسط من الراحة فيستخرج منها أدبا ممتازا، وماشيا مع ما تمّ ذكره فإنّ أغلب شعر الصعاليك يتميّز بالمقطوعات الشعرية القصيرة، ما عدا قصائد "تأبّط شرا" لكنّها ليست طويلة كالقصائد التي تمرّ علينا وإنّما لها سبب في ذلك وهذا ما فسّره ووضّحه "إحسان سركيس" ((تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش التي لا تكاد تفرغ للفن من حيث هو فن، الذي يفرغ صاحبه لتطويله وتجويده وإعادة النظر فيه))[2]. إذن العيش في الصحراء ومشقّتها اليومية والمعاناة التي واجهتهم لم تمنحهم الوقت لكتابة القصائد الطويلة فاكتفوا بالمقطوعات.

كما جاءت "أسماء أبو بكر" بقولها ((أكثر شعرهم مقطوعات لا قصائد ولعلّ مردّ هذا إلى أنّهم ذو خفّة وسرعة لم يألفوا التمهّل والتروّي والتنميق، فجاء شعرهم صورة من حياتهم))[3].

تبيّن من خلال قول" أسماء أبو بكر" أنّ قلّة أشعارهم راجع إلى مواجهة اضرابات يومية في حياتهم، ونفس الرأي جاء به الباحث الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد علي في قوله: ((شعرهم شعر مقطوعات بسيطة وفي القليل ما نجد قصائد طويلة، ذلك أنّ حياتهم وتفرقهم ومعيشتهم في الصحراء، وما كان فيها من قتل وتشريد وسطو وإغارة جعلتهم لا يطيلون قصائدهم في مدح أو هجاء، فهذا بعيد عن طبيعة حياتهم))[4].

[1] هاشم صالح مناع، الأدب الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص356.

[2] إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ص211.

[3] أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، ص 41.

[4] عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، د.ط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2008م، ص2060.

وخلاصة القول أنّ انتشار المقطوعات في شعر الصّعاليك، مردّه لطبيعة الحياة التي عاشها كلّ صعلوك من نهب وسلب وهروب، وهذا ما جعلهم يدوّنون الشعر القصير حتى يستعجلوا لمكافحة صعاب الحياة والبحث عن قوت يومهم.

2. الوحدة الموضوعية:

استبدّ على شعر الصعاليك الوحدة الموضوعية، فاعتبرها البعض تفنّنا بوضع لكلّ مقطوعة عنوانا لها ((فالنّاظر في شعر الصّعاليك تلفت نظره تلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاته وأكثر قصائده بحيث يستطيع أن يضع لكلّ مقطوعة عنوانا خاصّا لها دالا على موضوعها وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القبلي في مجموعه))[1].

وهذا ما أكّده الباحث "هاشم صالح مناع" حيث يقول: ((يتميّز شعرهم بالوحدة الموضوعية، ويخرج من دائرة الشعر الجاهلي الذي يعتمد الوقوف على الأطلال والتنقّل من غرض إلى غرض، أمّا شعر الصّعاليك فليس فيه كل هذا، لأنّه يتناول قضية اجتماعية يحاول من خلال الإلحاح عليها أن يقدّم العلاج الثاني أو الحل الناجح، فهو حريص على إيصال المعنى ولا يكاد الممعن في شعر الصعاليك أن يخطى الوحدة الموضوعية في أغلب القصائد سواء ما كان في وصف المغامرات أو الحديث عن سرعة العدو أو الفرار، أو تقرير فكرة اجتماعية أو اقتصادية وغيرها من الموضوعات))[2]. فيتبيّن هنا أنّ الشعراء اتّخذوا موضوعا واحدا في شعرهم فالتزموا بالوحدة الموضوعية للموضوع.

أحكم الصّعاليك في شعرهم عن مواقفهم في الحياة ((الشاعر الصعلوكي يسلط الضوء على تفاصيل الموقف الذي يتحدّث عنه وبعدها يرسم توقعاته في إثر موقفه))[3].

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 264.

[2] هشام صالح مناع، الأدب الجاهلي، ص354، 355.

[3] أحلام عبد العالي غالي الصاعدي، شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شرّاحها دراسة نقدية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أم القرى، السعودية، 2011م، ص118.

فالشاعر الصعلوك يأتي بالموقف الذي يتحدّث عنه أوّلا ثم يتوقّعه ثانيا، شعر الصعاليك يخلو من المقدمات الطللية، فوصف رحيله ومعاناته من قبل قبيلته ((يتميّز شعورهم بوحدة الموضوع، فليس فيه مقدمات تمهيدية من غزل وبكاء وأطلال ووصف لرحيل أو رواحل أو استطراد إلى موضوع واحد))[1].

تميّز شعر الصّعاليك بوحدة الموضوع من مطلع القصيدة إلى نهايتها فخالفوا غيرهم من شعراء الجاهلية، أي ظاهرة التقليد والتجديد في الشعر وهو ما عرفوا به، ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ الوحدة الموضوعية هي العلامة الظاهرة في شعر الصعاليك، يمكن الأخذ بكلّ مقطوعة ولها عنوانها الخاص بها.

3. التّخلص من المقدمة الطّللية:

البداية بالمقدّمات الطللية غابت في شعر الصعاليك ((فإنّنا نصل إلى تسجيل ظاهرة ثالثة وهي ظاهرة التخلّص من المقدّمات الطللية وهذا طبيعي مادام الشعراء الصعاليك يحرصون على الوحدة الموضوعية في شعرهم، إذ أنّ المقدّمات الطللية تخلو بطبيعة الحال من هذه الوحدة الموضوعية وفيما عدا تلك المجموعة التقليدية التي أشرنا إليها لا نعثر فيها بين أيدينا من شعر الصعاليك على مقطوعة أو قصيدة تبدأ بمقدمة غزلية))[2]. فنرى هنا ظاهرة أخرى وهي التخلّص من المقدّمات الطللية في شعر الصعاليك وهذا راجع إلى تخلّي قبائلهم عنهم. ((وإمّا اتّخذ الشعراء الصعاليك لهم مذهبا آخر استعاضوا به عن هذه المقدّمات، وهو مذهب جعلوا محوره "حواء العالدة" أيضا ولكنّها ليست المرأة المحبوبة التي عرفناها عند الشعراء القبليين تلك التي يتدلّه الشاعر في حبها ويبكي أيّامه معها ويقف على أطلال ديارها، ويدعوا أصحابه إلى الوقوف معه، ولكنّها المرأة المحبة الحريصة على فارسها التي تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي وليس من شكّ أنّها باعة ممتازة أن يضع الشعراء الصّعاليك في مستهلّ قصائدهم صورة للأنثى الضعيفة التي يظهر صاحبها إلى جوارها بطلا

[1] سعدي ضناوي، ديوان عروة بن الورد، ص41.

[2] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص268.

قويا))[1].ذكرت المرأة في شعرهم فهي عنصر ضعيف مقارنة بالصعاليك، فكانت تخاف على فارسها أن يصيبه مكروه.

تخلّى الشعراء على المقدّمة الطللية لأنّها كانت تذكّرهم بالقبيلة واستبدلوها بأخرى تعبّر عن ((الحرية والتّحرر من الواقع التهميشي الإقصائي مغريا بذلك أنساق القبيلة ذات الطابع الاستعلائي الأناني))[2].

يتّضح أن عيش حياة التشرّد واصطحاب الحيوانات والعيش بعيدا عن القبيلة دفعت الشاعر الصعلوك إلى تطبيق مبدأ "خالف تعرف" فتمرّد على عادات وتقاليد وثقافة القبيلة.

4. عدم الحرص على التّصريع:

التّصريع كان غائبا في المادة الشعرية للشّعراء الصعاليك، وهذا يعود إلى موقف الفرد من القبيلة ((وتتّصل بهذه الظّاهرة ظاهرة رابعة من حيث البناء الخارجي لشعر الصعاليك وهي عدم الحرص على التّصريع في مطالع نماذجه الفنيّة))[3]. حيث كان شعرهم ساخط على الأوضاع الفنية للشّعر الجاهلي رغم التّقليد له أحيانا، وعدم تمسّك الصعاليك بالتّصريع راجع إلى استعمال ضمير المفرد "أنا" الذي عبّر عن الشاعر الذي عوّض ضمير الجماعة "نحن" الذي عبّر عن القبيلة.

والناظر في شعر الصّعاليك وهي ضائعة مهمّشة جدا يجد أنّ ((كلّ شعر أبي خراش بدون استثناء قد تخلّص من التّصريع تخلصا تاما، وكلّ شعر الأعلم بدون استثناء أيضا قد تخلّص من التّصريع تخلص تاما، وكلّ شعر عمرو وذي الكلب، إذا أخذنا برواية الأصمعي في لاميّته... قد تخلّص من التّصريع تخلصا تاما، وكلّ شعر الشنفرى ما عدا تائيته المفضلية، وكلّ شعر تأبّط شرا ما عدا قافيته المفضلية وكلّ شعر عروة بن

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص268.

[2] هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ص 128.

[3] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ص 274، 275.

الورد ما عدا رائيتن له، وكلّ شعر صغر الغي ما عدا داليته وميميته التي قالها في رثاء ابنه قد تخلّص التّصريع...))[1]. فكلّ الشعراء تخلو عن التّصريع تماما.

بعض المقطوعات الشعرية للشّعراء الصّعاليك وجدنا فيها التّصريع، فبرهن يوسف خليف هذا السبب ((في أحد الاحتمالين: إمّا أن يكون هذا التّصريع قد جاء عفوا دون أن يقصد إليه الشعراء الصعاليك قصدا وهو احتمال مقبول وإمّا أن تكون هذه المقطوعات وخاصّة التي قيلت في موضوعات خارج دائرة الصعلكة أجزاء من قصائد طويلة لم تصل إلينا كاملة احتفل لها أصحابها احتفالا فنيا خاصا، فصرعوا في مطلعها وهو احتمال مقبول أيضا))[2].

نستخلص من هذا أنّ التّصريع يعمل على الغياب والحضور، فإن غاب فهو يعود على تخلّيه عن القبيلة، وإن حضر فقد يكون عفويا دون إدراكه لهذا أو خارج عن صعلكته.

5. التّحلل من شخصية القبيلة:

تجرّد الشعراء من قبائلهم وذهبوا إلى الصحراء وهدفهم استرجاع كرامتهم والأخذ بثأرهم ((ومن الطبيعي ألاّ تظهر شخصية القبيلة عند شاعر فقد إحساسه بالعصبية القبلية ومادامت الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعيا فمن الطبيعي أن تنقطع فنيا، ونعني بانقطاعها فنيا تحلّل الشاعر الصّعلوك من ذلك العقد الفنّي الذي نراه بين الشاعر القبلي وقبيلته فلا يكون الشاعر الصعلوك لسان عشيرته لأنّ ما بينه وبين عشيرته قد انقطع، ولا يكون شعره صحيفة قبيلته لأنّه لم تعد له قبيلة))[3]. العصبية القبلية أثّرت في الشاعر فانقطعت الصلة بينه وبين أفراد قبيلته وعشيرته انقطاع اجتماعي وفنّي فلم يعد شعره يعبّر عن قبيلة أو حتى الدّفاع عنها.

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص275.

[2] المرجع نفسه، ص276.

[3] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 276، 277.

وخير مثال ما جاء به الشنفرى هو التّخلي عن قومه في لاميته المشهورة:

أقيموا بني أُمّي صدورَ مطِيّكُم فإنّي إلى قومٍ سِوَاكُم لأَمِيلُ

فقدْ حُمَّت الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدَّتْ لِطَيَّاتٍ مَطَايا وأرْحُلُ

وفي الأرضِ مَنْأَى للكريمِ عن الأذى وفيها لمنْ خافَ القِلَى مُتَعزَّلُ

لعَمْرُكَ ما بالأرضِ ضيقٌ على امرِئٍ سَرَى راغباً أوْ راهباً وهوَيعقلُ

ولي دُونَكُم أهلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وأرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْئلُ[1]

في هذه الأبيات "الشنفرى" تمرّد عن القبيلة وأهلها، وأخذ الحيوانات أهلا له لإثبات نفسه وإعطاء مكانة وقيمة له، فالحيوانات كانت أكثر إنسانية وحنية من أهله(قبيلته).

6. الواقعية:

كان الشعراء الصعاليك واقعيّون في شعرهم فهو مأخوذ من حياتهم وبيئتهم التي عبّروا عنها في مقطوعاتهم فقد ((ترجم شعرهم عن واقعهم الحقيقي الذي عاشوا فيه فيرى فيه تشرّدهم في جوف الصّحراء وما فيها من مخاطر وأهوال، وفيه كذلك التغنّي بالبطولة واستظهار العظمة والشجاعة وحبا للحرية، وقلّة النوم وكثرة التربّص وسرعة الانقضاض على الفريسة في حالك الليل البهيم وفيه أيضا وصف الطير والحيوانات، ولكن الغيلان أو تبرر فيه الثورة على المجتمع وما فيه من مفاسد وعيوب في تكوينه المنهار))[2]. فالشاعر صوّر لنا صورة الصحراء وحيواناتها الموحضة فوصفها وصفا دقيقا وغزوه وهجوماته على الاعداء، ومعاناته مع الفقر والنّشر وغيرها من الأشياء فإنّها فعلا الحياة القاسية عليهم، ((فقد صوّر الشعراء الصّعاليك في فهم البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكلّ مظاهرها: الصحراء القاسية بشعابها وخيالها وأغوارها وصخورها ومياهها وحرّها وبردها، ولياليها المظلمة الرهيبة، وحيواناتها

[1] اميل يعقوب بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م، ص 58-59

[2] عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص262.

الشاردة في آفاقها، ووحشها الرّابط في أرجائها وحشراتها المتوارية في جحورها والسائرة فوق رمالها وصوّروا، مظاهر الطبيعة المختلفة كما شاهدوا: طلوع الفجر وغروب الشمس، والندى المتساقط في أوّل اللّيل وفي آخره والبرق والرّعد والسحب والمطر وصوّروا الحياة الواقعية التي يحبّونها بكلّ ما فيها من واقع وخيّر وواقع شرّير، الكرم والمروءة والعطف على الفقراء والمرضى والضعفاء))[1]. إذن فقد صّروا لنا حياة البيئة البدوية ومظاهر الطبيعة الصحراوية التي يعيشون في أحضانها.

فالشعراء الصعاليك وصفوا واقعهم في أعمالهم الشعرية ((شعرهم يصوّر نفسياتهم وأعمالهم فهو صدى للواقع))[2]. فشعرهم عبّر عن نفسياتهم وألمهم الداخلي فأصبح ألم واقعي مترجم.

تميّز الشعراء الصعاليك بالصدق في مشاعرهم وأحاسيسهم الدفينة فنبذوا الذّل والهوان في القبيلة ((والمظهر الثاني صدق النقل عن الحياة ومطابقة الصور للأصل))[3]. أي أنّ الشاعر صدق في نقله للأحداث أي صورة طبق الأصل لواقعه المرير في قبيلته.

الشعراء الصعاليك في حديثهم عن السلبيات والإيجابيات لم يخفوا أي نقص منها فتحدّثوا عنها بمصداقية تامّة ((المظهر الخامس من مظاهر هذه الواقعية الصراحة في تصوير وتسجيل الواقع كما هو))[4]. برز فيه الصّدق والصراحة في تدوين الوقائع دون نقص أو زيادة فيها.

وخلاصة القول فإنّ الواقعية وصفت حياة الصعلوك التي عاشها في الصحراء مع الحيوانات المتوحشة والصعوبات التي يتلقّاها يوميا فلهذا نجد شعورهم صادقا فهو مظهر من مظاهر الخبرة العلمية ((والمظهر السابع من هذه الواقعية ظهور الخبرة العلمية في فنّهم))[5].

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص282.

[2] عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص400.

[3] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص283.

[4] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص286.

[5] المرجع نفسه، ص289.

الفصل الثاني:

سيكولوجية الشاعربين الاغتراب الروحي والارتحال الطوبوغرافي (الجغرافي).

- أوّلا- المرأة والوقوف على الطّلل بين البعد النّفسي والبعد الثّقافي.
- ثانيا-مكوّنات الفضاء الجاهلي من المنظور الثّقافي وأثره النّفسي.
- ثالثا- الامتدادات الثّقافيّة في شعر الصّعاليك.
- رابعا- تمثّلات العزلة والاغتراب في شعر الصّعاليك.
- خامسا- البعد الثّقافي والنّفسي من المنظور الأدبي.

تمهيد:

لطالما شكل الشعر الجاهلي مادة ثرية من جميع الجوانب سواء كانت فنية أو أدبية، أو الاجتماعية، وعلى هذا الأساس فإن هذا النتاج الأدبي بما يمثله من ثروة أدبية استقطب الدارسين والنقاد من أجل تحليله وتفسيره. وإذا كان هذا الأدب استرعى اهتمام هؤلاء النقاد من أجل دراسته فإننا نحاول في هذه الدراسة أن نتبيّن هذا النتاج من منظور آخر ألا وهو المنظور النفسي والبعد الثقافي بما يمثله هذا الجانب من أهمية، والذي يستعين إليه من خلال دراسته من ناحية المرأة والطلل، والقيم الاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية.

- **أوّلا- المرأة والوقوف على الطلل بين البعد النفسي والبعد الثقافي:**

تظهر لنا أنّ تجلّيات المرأة تشكّلت في صورة متميّزة عند "الشنفرى" خاصّة، وعند شعر الصعاليك عامّة، وذلك تأثّرا بطبيعة الحياة التي عاشها الصعلوك، ونظرا لانتشارهم في المفاوز*، منفيّين ومطارَدين، أو لرفض سلوكياتهم وزيادة على ذلك فقد تقطّعت السبل بهم وبزوجاتهم، فمن الطبيعي أن تحضر المرأة حضورا قويا في نتاجاتهم الأدبية.

فحتى وإن كان ((الشّعر مرآة صادقة لما يجول في نفس الشاعر من معاناة واشتياق، فإنّ هذه التجلّيات بدت في شعر الصّعاليك الذين عاشوا حياة كدّ وشقاء لا يقرّ لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال، لاسيّما في الحوارات التي كانت تجري بينهم، وبين المرأة التي شكّلت في أغلب قصائدهم قناعا للقبيلة أو لروح الصعلكة))[1].

*المفاوِز، جمع مَفَزة (فَاوَزَ): قطع مفاوز شاسعة: أي صحاري.

[1] عبد العزيز موسى درويش علي، رمزية المرأة وتجلّياتها في شعر الشنفرى، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، المجلد10، العدد 4، 2019م، ص16.

وعلى هذا الأساس تروم هذه الدّراسة الوقوف عند المرأة وتجلّيات المرأة في شعر "الشنفرى" بعدّها عنصرا ثقافيا، ومكوّنا اجتماعيا كان من الأهمية بما في ذلك التمثيل السوسيولوجي خاصّة وأنّ نصوص الجاهلية كانت تتغذى على هذا العنصر الذي كان يمثّل حلقة مهمّة في الشعر وقول الشعر من حيث كونه كان يمثّل مادّة دسمة وبنية ثرية تثري المكتوب من جميع النواحي ، فلا جرم أن يستعين الشنفرى كغيره من الشعراء بهذا المنجز الثقافي، الذي كان يعدّ هرما أساسا في بناء القصيدة، خاصّة وأنّ المرأة كانت تمثّل جانبا سيكولوجيا لم يتوقّف مداه عند المكوّنات الثقافية، فالشنفرى كلّما تحدّث عن نظيرته المرأة إلاّ وخاطب المتلقّي بخطاب اللاوعي الذي يعبّر عن مخبوءات نفسية دفينة لا تظهر إلاّ في ما ورائيّات القول، وهذا ما يتجلّى في المتناقضات والمتضادّات التي جمعت بين الحبّ والدّم، وبين الهيام والكره، أو بين الكره واللاّكره، بل يسترسل في الحديث عن علو قدرها ودنُوّ مكانتها، وعطفا على هذا الطرح يذهب الشنفرى وتائيّته أو قصيدته الثانية مذهبا تتجلّى فيها هذه المتناقضات النفسية، والتشبّعات السيكولوجية.

ألاَ أمَّ عمرٍ أجْمَعَت فاسَقلَّت وما ودَّعَت جيرانَها إذ تولَّتْ

وقَدْ سَبَقَتنَا أم عمروبأمرِهَا وكانت بأعناق المَطِيِّ أظَلَّتْ

بعينَيَّ ما أمسَت فبَانَت فأصبَحَت فقَضَتْ أمورًا فاستَقَلّتْ فولَّتْ[1].

تقف القصيدة من البداية على الطّلل الذي يعبّر عن فجيعة الرّحيل والارتحال المرّ عن الحبيبة، والأثر النّفسي الذي تركته المحبوبة برحيلها وهو يكنّ لها مشاعر الحب والغرام والهيام، فأصبح رحيلها بكاءً وعويلا يعبّر عن المَطلع.

[1] إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ/1996م، ص31.

وممّا لا شكّ فيه فإنّ هذه التمثّلات النّفسية تنعكس بطريقة أو بأخرى على المكتوب، فما كان يفتأ الشاعر الصّعلوك يفتتح قصيدته بالطّلل بكاءً على محبوبته حتى يعاود ذكرها، فها هو الشنفرى يبكي أوّل ما يبكي على محبوبته:

فَوَا كَبِدا عَلى أُمَيمَةَ بَعدَما طَمِعتُ فَهَبها نِعمَةَ العَيشِ زَلَّتِ

فَيا جارَتي وَ أَنتِ غَيرُ مُليمَةٍ إِذ ذُكِـــــــرتُ وَلا بِذاتِ تَقَلَّتِ[1].

إنّ الحالة النفسية التي أصبح يعيشها الشاعر من منطلق الوعي واللاّوعي الذي أحبّ من خلاله " أم عمر"، فها هو ذا يقحم الجار في هجران حبيبته، وما حسب الجار من هذا الذكر في مدوّنته الشعرية هنا إلّا مطيّة للتعبير عن هذا الحب الذي تجاوزه فتحوّل إلى عشق روحي سريالي تعدّى العشق العادي.

حيث كان يرى الشاعر محبوبته في كلّ الأفضية والجيران الذين كانوا يقطنون هذه الأفضية باعتبارها مكوّنات تمثّل حنينا من المنظور النّفسي أو السيكولوجي بمفهومه الحديث، حيث إنّ كلّ جار كان يمثّل "أمّ عمر" وأيضا ملامحها التي أحبّها إلى حدّ الارتياب الذي وصل به إلى ذكرها في كلّ شاردة وواردة من شعره الذي غطّته لمسات أنثوية منبعها الشّعور واللاّشعور المليء بحبّ أمّ عمر.

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ

تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها لِجـــــارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ[2].

فالنّسيج الأدبي في نسقه الشّعري كان قائما على حضور المحبوبة أو بالأحرى المعشوقة التي تركته، ولذلك أخذ الشّاعر يعبّر عن هذا الألم النّفسي الجواني بذكر الجار الذي رحل هو الآخر عن فضائه الذي كان يحتويه، فرحيل الجار مقارنة بما سبق ذكره هو رحيل المحبوبة على المستوى الذهني الذي علق به كلّ واحد منهما في فضاء جمعته الذّاكرة، فالتعالق على المستوى الجغرافي الذي جمع بين المحبوبة واحد والجار

[1] إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص32.

هو تعالق نفسي على اعتبار أنّ الحيّز جمع كلاهما، وبالتّالي فإنّ رحيل الجار هو رحيل المحبوبة التي هجرت المحب قبل ذلك.

وعطفا على هذا الحديث الذي امتلأ فيه النّص بالأبعاد النفسية، بشقيّها الواعية واللّاواعية الجديرة بالذّكر أن نتحدّث عن النظام القبلي في إطاره الثقافي الذي كان سببا في تباعد المحب عن محبوبته، فالنّظام الاجتماعي كان يرفش ثقافة اتّصال الرّجل الصعلوك بالمرأة نظرا لدونيته، أو مرتبته الدونية في السلوك الاجتماعي بكلّ ما يحمله من معنى التمرّد والصّعلكة، وأن يجتمع بأنثاه.

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لأَمْيَلُ
فَقَدحُمّتِ الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرْحُلُ
وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ
لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ سرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ[1].

ثانيا- مكوّنات الفضاء الجاهلي من المنظور الثقافي و أثره النفسي:

وظّف الشاعر الجاهلي المكان توظيفا اجتماعيا، ليصوّر طبيعة الحياة الاجتماعي، والثقافية السّائدة في تلك الفترة، فكان الشاعر يستدعي المكان ليبيّن الحالة الاجتماعية التي كان يعيش فيها، سواء بالانتماء إلى مجتمعه أو قطع الصّلة والتمرّد عليه، وهذا ما جاء به الشنفرى، حيث ترى الدّراسة الأنترولوجية أنّ الإنسان صنفين: ((فهو فرد أو كائن بشري ذو وجود مادّي فيزيولوجي، وهو من ناحية أخرى، شخص أو عضو في مجتمع أو هو "الأنا" لها علاقاتها وطرق تصرّفها وتعاملها مع الآخرين، فهو من هذه النّاحية (مجموعة من العلاقات الاجتماعية)، ولا اعتبار لوجوده منفردا، وإنّما هو جملة من الأحوال النّفسية تقوم وِحدتُها على تداخل أحوالها))[2]، فالصعلوك فرد هامّ في بناء مجتمعه.

[1] إيميل يعقوب، ديوان الشنفرى، ص ص 58-59.

[2] بشاير بن صالح عبد الله حسين العنزي، الآخر في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، مصر، المجلد3، العدد 31، ماي 2022م، ص 146.

إذا كان الألم النّفسي قد تجسّد في ابتعاد الشنفرى، من خلال ابتعاده عن محبوبته فإنّنا نجد هذه المعاناة قد اتّخذت مجرى آخر عند "عروة بن الورد"، والتي تجسّدت في العيش على أنقاض الماضي وذكرياته النّفسية جرّاء هجر زوجته سلمى، ولذلك نلقى القصيدة عامرة بالانكسارات المملوءة بالحسرة والنّدم على فراقها والتفريط فيها، فلا عجب أن نجد "عروة بن الورد" يقسو على نفسه ويلوم قراره الذي اتّخذه في غفلة منه ومنها وهو يدفع فاتورته النّفسية، فدخل فيما يشبه جلد الذّات والعيش على بقايا الماضي الذي لا يعود، فعاش فيما يعرف في علم النّفس الحديث بـ"الحِيَل الدّفاعية" وهي : ((مجموعة من الحيل والأساليب التي يلجأ إليها "الأنا" في تعامله مع رغبات "الهو" ورغبات " الأنا الأعلى" ومتطلّبات الواقع حتى يحقّق الشّخصية توافقها مثل الكتب والإسقاط، والتكوين العكسي والتوحّد))[1].

أي أنّ الفرد يلجأ إلى هذه الحيَل حين لا يستطيع تحقيق رغباته، وإشباع دوافعه ورغباته، وبين القيم والمعايير التي يفرضها المحيط الذي يعيش فيه.

وقد وضّح" سيغموند فرويد" عملية لجوء الفرد إلى الحيّل الدفاعية حين حدّد العلاقة القائمة بين مكوّنات الجهاز النّفسي الثلاثة (الأنا، الهوَ، الأنا الأعلى، على تداخل أحوالها)[2] فالصعلوك فرد مهم في بناء المجتمع.

وبناء على هذا المنطلق نجد في قصيدة ل "عروة بن الورد" يقول فيها:

[1] فرج عبد القادر طه، ومجموعة من الدكاترة، معجم علم النّفس والتحليل النّفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص183.

[2] مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، دار مصر للطباعة، ط3، 1955م، ص ص 143-151.

أَرِقتُ وَصُحبَتي بِمَضيقِ عُمقٍ لِبَرقٍ في تِهامَةَ مُستَطيرِ

إِذا قُلتُ اِستَهَلَّ عَلى قَديدٍ يَحورُ رَبابُهُ حَورَ الكَسيرِ

تَكَشُّفَ عائِذٍ بَلقاءَ تَنفي ذُكورَ الخَيلِ عَن وَلَدٍ شَفورِ

سَقى سَلمى وَأَينَ دِيارُ سَلمى إِذا حَلَّت مُجاوِرَةَ السَريرِ[1].

تتضمّن القصيدة في مطلعها المشحون بالدلالات صورتين متباينتين، فالصورة الأولى اتّخذت على ذكر سلمى والحب الذي يكنّه لها، أمّا الصورة الثانية فهي أكثر بلاغة وغنى فنيا من حيث كونها وظّفت المطر توظيفا رمزيا ينمّ عن المكبوتات التي كان يعيشها الشاعر، فالمطر في رأينا لم يكن إلاّ مطية للتعبير عن حزنه، وبل والتعبير عن بكائه على فراق محبوبته، وهو توظيف في رأينا لم يكن مقصودا في ذاته بقدر ما كان تعبيرا عن حزن الطبيعة تماما مثل حزنه الذي كان يبكي فيه فراق المحبوبة.

وفي هذا الصّدد لا ينبغي المرور على الأنساق الثقافية التي أغنت سرود شعر الصعاليك من منظور الأفضية التي كوّنت شخصية الشاعر الصعلوك وهو يتّخذها ملجأ يبتعد من خلالها طوبوغرافيا عن أفضية القبيلة والتي سمحت له بتشكيل أنساق ثقافية تختلف عن ثقافة القبيلة المتمثّلة خاصّة في نظام القبيلة التي كانت تنبني على نظام هرمي معيّن تسوده السّلطة بما يغرزه هذا النظام من عنصرية وتفرقة، فلا عجب أن يقيم الشاعر الصعلوك من هذا المنظور الثقافي سبيلا جديدا ونهجا مغايرا يتّخذ من خلاله العزلة والسّبي وقطع الطّريق سيرا يخالف الأعراف ويعارض النمذجة الاجتماعية التي حاول العربي بثقافته فرضها على الكل، يقول تأبّط شرا:

[1] شرح ابن السّكّيت يعقوب بن إسحاق المتوفّى سنة 244هـ، ديوان عروة بن الورد، تحقيق: عبد المعين الملومي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ص 19- 55-56.

وَبِالشَعبِ إِذ سَدَّت بَجيلَةُ فَجَّهُ وَمِن خَلفِهِ هَضبٌ صِعابٌ وَجامِلُ

شَدَدتُ لِنَفسِ المَرءِ مَرَّةَ حَزمَهُ وَقَد نُصِبَت دونَ النَجاءِ الحَبائِلُ

وَقُلتُ لَهُ كُن خَلفَ ظَهري فَإِنَّـــني سَأَفديكَ وَانظُر بَعدُ ما أَنتَ فاعِلُ

فَعاذَ بِحَدِّ السَيفِ صاحِبُ أَمرِهِم وَخَلّوا عَنِ الشَيءِ الَّذي لَم يُحاوِلوا

وَأَخطَأَهُم قَتلي وَرَفَّعتُ صاحِـــبي عَلى اللَيلِ لَم تُؤخَذ عَلَيهِ المَخــاتِلُ

وَأَشطَأَ غُنمَ الحَيِّ مُرَّةُ بَعـــــدَما حَوَتهُ إِلَيهِ كَفُّـــــهُ وَالأَنامِـــــلُ

يَعَضُّ عَلى أَطرافِهِ كَيـــــفَ زَولُهُ وَدونَ المَلا سَهلٌ مِنَ الأَرضِ مـــاثِلُ

فَقُلتُ لَهُ هَذي بِتِلكَ وَقَد يَـــــرى لَها ثَمَـــــناً مِن نَفسِهِ مـــــا يُزاوِلُ

تُوَلوِلُ سُعدى أَن أَتَيتُ مُجَـــرَّحاً إِلَيها وَقَد مَنَّت عَلـــيَّ المَقـــاتِلُ

وَكائِن أَتاها هارِباً قَبـــــلَ هَـــــذِهِ وَمِـــــن غانِمٍ فَـأَينَ مِنكِ الوَلاوِلُ[1].

لقد حاول الشعراء الصعاليك من أمثال "تأبّط شرا" أن يبنوا نظاما اجتماعيا ذو أبعاد ثقافية تقوم على الحرية، وهذا ما كان يتجسّد في الصراع مع السلطة، يقول مالك بن الريب:

أَتَلحَقُ بِالرَبِ الرِفاقُ وَمالِكٌ بِمَكَّةَ في سِجنٍ يُعَنّيهِ راقِبُه[2]

ف ((القراءة الفاحصة لهذا النّص تكشف لنا عن النّسق السياسي، وهو النّسق القائم ما بين الشاعر والحاكم (مروان بن الحكم)، حيث ذكر ابن قتيبة في "الشعر والشعراء "أنّ مالكا حبس بمكة في سرقة، فشفع فيه شماس بن عقبة المازني فاستنفذه، حاول الشاعر من خلال هذا البيت أن يثبت صحّة فكره وفلسفته للواقع، وهذا بفعل الصّراع السياسي الذي تقع تحته السلطة كأساس، وما بين الشاعر والرّافض لقوانين السلطة ولأنساقها))[3].

وإن كنّا لانعدم في هذا الصّدد أنّ الحمولات الثقافية التي كان يحملها الشاعر الصعلوك قبل صعلكته تؤثّر بطريقة أو بأخرى على الشاعر وشعره بما تحمله هذه الأنساق من تمثّلات سياسية

[1] ديوان تأبط شرّا، إعداد تقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص61-62

[2] ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تح: نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 15، ج1، د.ت، ص 69

[3] المرجع نفسه، ص 116.

واجتماعية وعقدية ونفسية وهي تحضر في كثير من الأحيان في نتاجاتهم الشعرية، فما كان ينفكّ الشاعر الصعلوك يبدي تمرّده حتى يعود إلى وصف ما وصفه أقرانه الشعراء العرب الذين لم يتصعلكوا، يقول مالك بن الريب:

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبــيتَنَّ لَيلَــــــــةً بِجَنب الغضا أُزجي الغلاص النَواجِيا
فَلَيت الغَضَا لَم يَقطَعِ الرَكبُ عــــرضه وَلَيت الغضَا ماشى الرِّكابَ لَيــــالِيا
لَقَد كانَ ف ي أَهل الغضا لَو دنا الغضا مَزارٌ، وَلَكِنّ الغضا لَيسَ دانِيــــــــا
أَلَم تَرَني بِعتُ الضَلالَةَ بِالــــــــهُدى وَأَصبَحتُ في جَيشِ اِبنِ عَفّانَ غــازِيا
وَأَصبَحتُ في أَرضِ الأَعاديّ بَعــــــدَما أرانِيَ عَن أَرضِ الأَعادِيّ قاصــــــيا[1].

وعطفا على هذا الحديث فإنّنا نحسب أنّ الشاعر الصعلوك كان يريد انتشار أبعاد ثقافية جديدة من خلال قلب الموازين رأسا على عقب خاصّة في الشّق المتعلّق بالنظام السياسي، ولذلك نجد الشاعر الصعلوك وهو يعيش العزلة يحاول أن يعلّي من ذاته ويحقّر غيره ممن يعيشون تحت لواء نظام القبيلة، فكان يتعمد في ذلك على غرضي المدح والافتخار والذم، وبين هذين الغرضين يمرّر رسائل يحاول فيها الشاعر من فرض ما يجد في نفسه من مكوّنات تعبّر عن قلب النظام لصالحه، جاء عروة بن الورد بهذه الأبيات:

إذا آذاكَ مالُكَ فَامتَهِنهُ لِجاديهِ وَإِن قَــرَعَ المَراحُ
وَإِن أَخنى عَلَيكَ فَلَم تَجِدهُ فَنَبتُ الأَرضَ وَالماءُ القَراحُ
فَرَغمُ العَيشِ إِلفُ فِناءِ قَومٍ وَإِن آسوكَ وَالمَوتُ الرَواحُ[2].

يمكن القول بأنّ الصّعلكة هي تمرّد وثورة على النظام فالصعلوك لا يرضى أن يكون فردا محكوما عليه، بل هو حاكم يشعره بسيادته، وأناه المتعالية والمتصعلكة ومن هذا المنظور فإنّ ((الأنا المتصعلكة هي

[1] نوري حمودي القيسي، ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج15، ج1، المرجع السابق، ص88.

[2] أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، ص53.

قناع للأنا المتمرّدة، والرّافضة للعبة الانغماس في السياق الذي تصنعه السّلطة والجماعة بقدر ما تثيره هذه الأنا المتصعلكة من اغتراب عن الواقع، ومن شجن إزّاء منظومة القرابة والأصل فإنّها تحوز على مظاهر اجتماعية وسلوكية))[1]. جديدة وكأنّ الشاعر الصعلوك يريد أن يبني هرما اجتماعيا وبعدا ثقافيا جديدا يبتعد عن الهرم الثقافي المعتاد في القبيلة.

يتبين لنا أنّ الصعلكة ليست قطع الطريق وسبي ،وسرقة مال فقط وإنما يتعداها إلى محاولة بناء نظام قبلي وثقافي جديد يعيش فيه الصعلوك ومن يريد أن يعيش حياة الصعلكة نظاما جديدا لا يتقيد بالقيود الكلاسيكية التي تعيشها القبيلة العادية، إنّها إرادة نحو هدم قيم السلطة خاصة السلطة التي يتحكم فيها الأغنياء والأسياد، وكأنها نظام اقتصادي وثقافي جديد بمفهومه المعاصر، إنّها نظرة استشراقية ومحاولة إيديولوجية لإقامة دعائم نظام جديد ولو كانت من منظور خاطئ، سبقت حتى الأنظمة الاقتصادية و الثقافية المعاصرة وبمفهومها المعاصر، ولذلك يقاومون نظام الطبقية ومحاربة التّفرقة بين الغني و الفقير ،لهذا الصعلكة تقوم على النظام الاجتماعي الذي يخرج عن السلطة والعصبة القبلية.

يقول "عروة بن الورد" في مدح "مالك القراري" شاكرا له موقفه لنبيل وكرمه[2]:

جَزى اللهُ خَيراً كُلَّما ذُكِرَ اِسمُهُ أَبا مالِكٍ إِن ذالِكَ الحَيُّ أَصعَدوا

وَزَوَّدَ خَيراً مـــــالِكاً إِنَّ مــالِكاً لَـــــهُ رِدَّةٌ فينا إِذا القَـومُ زُهَّدُ[3].

ثالثا - الامتدادات الثقافية في شعر الصعاليك:

عطفا على ما سبق ذكره فإننا نلفي جانبا ثقافيا وامتدادا سوسيولوجيا في نفسية الشاعر الصعلوك، فالشاعر قبل أن يكون شاعرا فهو انسان ابن بيئته ويظل حاملا لثقافة قبيلته وأبناء جلدته مهما تغرب أو

[1] علي حسن الفواز، الشعراء الصعاليك في العراق، التمرّد الوجودي والهروب من النسق، كجلة نزوى، الموقع الإلكتروني: https://www.nizwa.com/

[2] أمين حسن حمد، الصورة الفنية في ديوان عروة بن الورد، مذكرة ماجستير، اللّغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا،2016م، ص 12.

[3] سعدي ضناوي، ديوان عروة بن الورد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص ص 71-72.

تمرد أو ابتعد، وعلى هذا الأساس نجد كثيرا من الشعراء الصعاليك يحملون قيما تجمع بين الجانب النفسي والثقافي والذي لا يمكن أن يتخلص منها. فلا غرور أن نسجل في هذا الصدد بعض القيم الأخلاقية مثل قيمة الكرم التي نجدها عند عروة بن الورد.

وعلى الرّغم ممّا يقال على الشعراء الصّعاليك من تمرّد على القيود الاجتماعية بما في ذلك الأعراف والعادات والتقاليد، إلاّ أنّنا نسجّل جانبا نفسيا واجتماعيا عند "عروة بن الورد" يخالف الصورة النمطية المسجّلة على الشعراء الصعاليك، فلقد عُرف عن هذا الشاعر المغوار صفة الكرم في مقابل شحّ زوجته وبخلها التي كانت ما تفتأ بمنعه من هذه الصّفة كلّما سنحت لها الفرصة بذلك، وتغريه على البقاء بجانبها تارة بمعسول القول:

تَقولُ سُلَيمى لَو أَقَمتَ لِسِرّنا وَلَم تَدرِ أَنّي لِلمُقامِ أُطَوِّفُ[1].

فأكثر ما نرى هذه الظّاهرة شائعة عند "عروة بن الورد" فكثير من قصائده ذكرت وهي تلومه على كرمه الزّائد.

كما امتاز "عروة" بدفاعه عن الفقراء وكرمه والإحسان إليهم، فوضع نفسه في موضع الفارس الشّجاع المغوار، وهذا الذي كان يستفزّها فيه، وكانت تلومه على هذا وتخوّفه بأن يلقى مصيره مجهولا في الصحراء محاطا بأعدائه:

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح وتح: أسماء أبو بكر محمّد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1418هـ-1998م، ص 87

أَرى أُمَّ حَسّانَ الغَداةَ تَلومُني تُخَـــاوِّفُني الأَعداءَ وَالنَفسُ أَخوَفُ

ذَريني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني أُخَلّيكِ أَو أُغنيكِ عَن سوءِ مَحضِري[1].

لقد كان عروة بن الورد يواجه خصال زوجته الذميمة برباطة جأش وثبات نفسي كان ينعكس في أفعاله وأقواله، ونتاجه الشعري، وعلى هذا الأساس كان يوجّه خطابه الشعري إلى زوجته وذلك على غرار الشعراء الصعاليك الذين كانوا يوجّهون خطاباتهم الشعرية إلى أزواجهن عند تعرّضهم إلى اللّوم.

تبيّن الكثير من الدّراسات التي تناولت الشعر الجاهلي عموما، وشعر "عروة بن الورد" على وجه الخصوص، أنّ هذا الشهر اتّخذ العديد من صور الحياة الثقافية والاجتماعية باختلافها وتنوّعها وهي تشير إلى حياة الإنسان العربي قبل الإسلام، وما تتضمّنه من مضامين نفسية، وبخلاف ما هو معروف عن الشعراء الصعاليك ،فإنّ بعض الشعراء الذين ينتمون إلى هذه الفئة يصنعون الاستثناء من منظور أنّ بعض القيم الأخلاقية تؤثر في دواخلهم النفسية ويبقى أثرها حتى بعد الصعلكة، من حيث كونها تبقى راسخة في ذهن الإنسان حتى ولو تمرّد على هذه القيم، ومن ثمة تعدّ هذه القيم امتدادا لما يعيشه الشاعر فيما بعد تأبّط شرا بسرعة العدو الذي كان يفتخر بها أمام أعدائه:

لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ بالعَيكَتينِ لَدى معدي اِبنِ بَرّاقِ

كَأَنَّما حثحَثوا حصًّا قوادمُهُ أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبــّاقِ

لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُذَرٍ وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيدِ خَــفّاقِ

حَتّى نَجَوتُ وَلَمّا يَنزِعوا سَلَبي بوالِهٍ مِن قبيض الشّدّ غيدَاقِ[2].

إذن نجد هذه الصّفة عند "تأبّط شرا" امتاز بها منذ نعومة أظافره، فكان يفتخر بها وكانت السّبب في عدم القبض عليه من قبل الأعداء فكان أكثر الصعاليك العدّائين، فكان يضرب المثل به.

رابعا - تمثلات العزلة والاغتراب في شعر الصعاليك:

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمّد، المرجع السابق، ص 67

[2] ديوان تأبط شرّا، إعداد تقديم: طلال حرب، المرجع السابق، ص، 48-49

وعلى هذا الأساس يؤكّد "عروة" صلابة الرّابطة بينه وبين رفاقه الصعاليك الذين عاشوا حياة الفقر والحرمان والجوع، وهذا ما أثّر عليه حين تخلّى عنه أهله، ففي أخبار عنه بأنّ أناسا من بني عبس أجدبوا ((في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم، وأصابهم جوع شديد وبؤس))، فأتوا عروة يستنجدون به فخرج((ليغزو بهم ويُصيب معاشا))[1]، فاتّخذ القرار الصّحيح عندا تخلّى عنه أهله فاكتشف أنّ لا مفرّ له من حياة الفقر وسوء المعاملة من طرف الخلاّن والأحبة، فهو واقف أمام خيارين إمّا يتقبّل حياة الذلّ والموت، وإمّا أن يختار حياة التشرّد بكلّ ما يحمله هذا التشرّد من مآسي اجتماعية ونفسية.

وَسائِلَةٍ أَينَ الرَحيلُ وَسائِلٍ وَمَن يَسأَلُ الصُعلوكَ أَينَ مَذاهِبُه

مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ إِذا ضَنَّ عَنهُ بِالفَعالِ أَقارِبُه[2].

وإذا كنّا نخوض في الجانب النفسي للشّاعر "عروة بن الورد "فإنّنا نسجّل جانبا نفسيا هو من الأهمية بما كان، فقد عُرف عن هذا الشاعر فوة شخصيته التي كانت تنعكس في أقواله الشعرية قبل حياته المتمردة.

وهذا ما يتجلّى في بطولاته والإخبار عن بطولاته خاصّة في مواجهته لطبقة الأغنياء في مجتمعه، وقد عزّز ذلك من خلال أفعاله الإنسانية والأخلاقية فأثبتها بمجموعة من القيَم النبيلة بالجود والكرم والتضحية وهذه ميزة الصّعلوك الحر. فهذا الأخير شعر ((بقطع التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي، أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلّة الاهتمام والإحساس بالألفة الاجتماعية معهم والشّعور بالعزلة والوحدة والتهميش والرّفض من قبل الآخرين))[3].

وفي هذا الصّدد وجب التنبيه إلى جانب نفسي آخر، وهو شعور شاعرنا بالوحدة والانعزال بفعل انقطاع الاتّصال بأفراد قبيلته بسبب فقره وقلّة حيلته.

[1] المرجع نفسه، ص30.

[2] عروة بن الورد، ديوانه، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418ه/ 1998م، ص48.

[3] ينظر: جديد زليخة، مجلّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، جوان2012م، ص349.

فَسِر في بِلادِ اللَهِ وَالتَمِسِ الغِنى

تَعِش ذا يَسارٍ أَو تَموتَ فَتُعذَرا[1].

على هذا الأساس تباينت صفات الارتحال والاغتراب، واتّخذت صوّرا متعدّدة تركت ألما نفسيا دفينا، وفي هذا الإطار نجد أنّ "تأبّط شرا"، وهو من الشعراء الصعاليك قد عانوا من الاغتراب النّفسي الذي يعرف ب ((اغتراب الذّات والشعور بالعجز وعدم القدرة على التحكم في المواقف وصيرورة الحياة))[2].

أي أنّ الفرد عندما يشعر بالوحدة عندما يشعر بالوحدة والاغتراب يفقد السيطرة والتحكّم في أفعاله، وهذه الحالة التي يمرّ بها الفرد نتيجة انفصاله عن الآخر وعدم تقبّله لهذا.

لقد وقف "تأبّط شرا" على ديار محبوبته التي غيّرها الدهر، متألّما يتمنى أن يجد من يجيبه على أسئلته الكثيرة التي شغلت باله، وأرّقت خاطره، فبدأ يذكر طيف محبوبته التي تركت فيه ألما نفسيا، متحدّثا عن هجرانها وغيابها، فقابلها بعزّة نفس وكبرياء وترجمها في مكتوبه.

يا عيدُ ما لَكَ مِن شَوقٍ وَإيراقِ وَمَرِّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَرّاقِ

يَسري عَلى الأَينِ وَالحَيّاتِ مُحتَفِي نَفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ عَلى ساقِ

طَيفِ اِبنَةِ الحُرِّ إِذ كُنّا نُواصِلُها ثُمَّ اِجتُنِنتَ بُها بَعدَ التِفِرّاقِ

تَاللَهِ آمَنُ أُنثى بَعدَما حَلَفَت أَسماءُ بِاللَهِ مِن عَهدٍ وَميثاقِ[3].

إنّ للمكان أبعاد نفسية تؤثّر في الذّات الشعرية سلبا وإيجابا، وفقا لأحاسيسهم ومشاعرهم، فهو المرآة العاكسة للذّات الإنسانية، من أفعال وأقوال، فخلّف فيه ذكريات وحوادث يحنّ لها كلّما استذكرها.

[1] أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص89.

[2] يوسف شكري فرحات، ديوان الصعاليك –الشنفرى، عروة بن الورد، تأبّط شرا، السليك ابن السلكة- دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص153.

[3] يوسف فرحات، ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص283.

فملامح الاغتراب واضحة في شعر الصعاليك من حيث المشاكل التي كان يعيشها كلّ شاعر صعلوك في خضم المواجهة مع القبيلة، وأبناء القبيلة فلا جرم أن يمتلئ شعر الصعلوك بالحسرة والأحزان، ومواجهة ضيق الأرض بما رحبت في أعينهم.

فالألم الدّاخلي كلّما زاد جعل الشاعر يعيش في كآبة وقنوط، فلا يستطيع تقبّل أفكار مجتمعه، ولا يستطيع التحكّم في سيل المشاعر المتدفّقة، ونفسيته المفعمة بالأحاسيس والمشاعر المتراكمة في جوانيته، فيروح إلى مواجهة القبيلة، ومجابهتها على جميع الأصعدة.

إنّ العرب في الجاهلية كانوا يعيشون معيشة بدوية تتميّز بالبساطة والحرية، فعاشوا في الصحراء بكلّ تقلّباتها وتغيّراتها، فكانت الملجأ الذي يُحتمَى فيه على الرّغم من مخاطرها وأهوالها الموحشة.

يَظَلُّ بِمَوماةٍ وَيُمسي بِغَيرِها جَحيشاً وَيَعروري ظُهورَ المَهالِكِ
وَيَسبِقُ وَفدَ الريحِ مِن حَيثُ يَنتَحي بِمُنخَرِقٍ مِن شَدِّهِ المُتَدارِكِ
إِذا خاطَ عَينَيهِ كَرى النَومِ لَم يَزَل لَهُ كالِئٌ مِن قَلبِ شَيحانَ فاتِكِ
وَيجْعَل عَيْنَيْهِ ربيئة قلبه إِلَى سلة من حد أخلق صائك[1].

إنّ الشاعر "تأبّط شرّا" من الشعراء الصعاليك الذي عانا من الاغتراب بسبب لون بشرة أمّه الحبشية، فعانا اغترابا نفسيا أكثر ممّا عاناه من اغتراب جغرافي، فكان يشعر باختلافه وتباينه عن بقيّة أفراد مجتمعه.

وهذا الحديث يجرّنا إلى الخوض في الأبعاد الثقافية المتضمّنة في شعر الصعاليك، وما أحاط بها من مضمرات ثقافية مبثوثة في ثنايا الخطاب الجاهلي، وذلك بوصف أطياف المجتمع والغوص في خبايا النظم الاجتماعية القبلية في ذلك الوقت.

[1] عبد الرحمان المصطفاوي، تأبّط شرا، الديوان، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص ص44- 45.

كان الشاعر لا يتوانى أبدا في تصوير المعاناة، والحكي عن مآسي الحروب وما تخلّفه وراءها، فكانت الأبعاد الثقافية، وعلى الرّغم من بساطتها الحاضرة في نتاجاتهم الشعرية، وعليه كانت تحضر البنيك الثقافية بما تحمله من عادات، وتقاليد وأعراف في ثنايا أشعارهم، إلاّ أنّ الشاعر الصعلوك كان يصيغها بطريقته الخاصّة وينظمها بعينه الشّاعرة المتمرّدة والبعيدة عن النّسيج الاجتماعي.

وعلى هذا الأساس كان يريد الشاعر الصعلوك أن يغيّر من النظام القبلي من وجهة نظره السياسية المتشبّعة بالصعلكة والتمرّد، ولذلك يبغي الشاعر الصعلوك بناء نظام جديد يقوم على أساسيات التّحرر والشّذوذ والانفلات من أنظمة القبيلة الصارمة ((ولم يكن هؤلاء المتمردين فيما يبدو، سوى أن يعترفوا بأنفسهم ذاتها وسط العالم، كي يحدّدوا نوعية إنسانيتهم انطلاقا إلى أفق رحب ينأى بالإنسان عن هذه الحياة الخلوية، ولكن الطريق لم يعد معدًا كما نتوهّم، فطريق التمرّد شاق وموحش))[1]، كما حدّثنا عنه "تأبّط شرا":

وَشَعبٍ كَشَلِّ الثَوبِ شَكسٍ طَريقُهُ مَجامِعُ صوحَيهِ نِطافٌ مَخاصِرُ

بِهِ مِنْ سُيُولِ الصَّيْفِ بِيضٌ أَقَرَّهَا جُبَارٌ لِصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَاقِرُ

تَبَطَّنْتُهُ بِالقَوْمِ لمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُثْبِتْ لِيَ النَّعْتَ خَابِرُ[2].

نرى بأنّ ثقافة الصّعلوك هي التّحرر من السّلطة وعدم الخضوع لها، فالصعلكة والسلطة لا يتّفقان، إذ أن الصعلكة تأتي ضدّ السلطة، وغالبا ما يتسلّط ويتطاول الصعلوك على الدولة الحاكمة وتحريضها على القبيلة والمجتمع ((فالشذوذ وسوء الخلق لا يكاد يخلو منه المجتمع، وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم وبعقوبة شديدة في الإسلام، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرّأ من الشّخص الذي تكثر جناياته))[3].

[1] عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرّد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2003م، ص 131.

[2] عبد الرحمان المصطفاوي، تأبّط شرا، الديوان، ص 29.

[3] الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج18، ط8، 1990م، ص 137.

إذن كان "تأبّط شرا" يريد أن يخلق نظاما ثقافيا جديدا يستمدّ سعته من التّحرر، وذلك ينسف قيود القبيلة وأعرافها، إنّه نظام ثقافي جديد مبني على عدم فرض الأخلاق المتعارف عليها في ذلك الوقت.

- **خامسا- البعد الثقافي والنّفسي من المنظور الأدبي:**

لقد استطاع الشاعر الصعلوك أن يعبّر عن مخبوءاته النفسية ومضامينه الإيديولوجية بطريقة جمالية استطاع من خلالها أن يجاري الشاعر الجاهلي، بل ويتفوّق عليه في كثير من الأحيان، فبقدر ما كان الشاعر شاعرا متمردا على قبيلته وأعرافها وتقاليدها بقدر ما كان متفوقا في قول الشعر وإنتاج النظم بما يعبّر عن سابقة هؤلاء الشعراء وبراعتهم وتفوّقهم في مضمار هذا الفن، وعطفا على هذا القول فإنّنا نجد كثيرا من الصور الفنية والأدبية والبيانية والجمالية التي استطاعت أن تعبّر باقتدار عن جوانية الشاعر، فها هو الشاعر استطاع أن يعبّر عن بطولاته بتوظيف صورة بيانية قمّة في الروعة للتّعبير ورونق في التضمين فقد نسبه الشاعر، فمثلا وظف "تأبّط شرا" التّشبيه باستعمال حرف" الكاف":

فتمشي إليك مشية هركلة كمشية الأركخ تريد العلة[1].

فهنا شبّه مشية الجارية بمشية الأركخ، وهي أنثى البقرة، وجاء بالمشبه وهو" مشية الجارية" بصفة مغررة تمثّل "هركلة" يمشي مشية المتكبر.

وفي شعر الصعاليك نجد العديد من أدوات التّشبيه، لم يقتصر على الكاف فقط، وإنّما كذلك أفعال التّشبيه، ونجدها عند "الشنفرى" حيث شبّه امرأته التي ذهبت عنه بنعمة من نعم العيش، بتوظيفه للفعل "هب" حيث جاء:

[1] عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان تأبط شرا، ص47.

فَوَا كَبِدا عَلى أُمَيمَةَ بَعدَما طَمِعتُ فَهَبها نِعمَةَ العَيشِ زَلَّتِ[1].

فهنا حبيبته أميمة رحلت وزالت، وشبّه نعمة العيش التي يستأنس بها الفرد في زمانه ثم زالت، أي أنّ هذه النعمة لا تدوم للأبد فلا دوام ولا بقاء لها.

وظّف الشنفرى أداة التّشبيه "كأنّ" جاءت في قوله:

كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ عَلى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمكَ تَبلَتِ[2].

يشبّه الشاعر حياء المرأة التي لا ترفع رأسها من الأرض في مشيتها ولا تنظر إلى الخلف باعتبار الحياء عنصر ثقافي مهم في تكوين النظام القبلي الجاهلي. وفي هذا الموضع يقدم الشاعر هذا المكون الثقافي في صورة مرئية حسية استطاع أن يقدّم من خلالها هذه الصورة بكل الخصائص الأدبية القشيبة التي تعطي صورة واضحة من خلال التشبيه إذ شبه الصوت في صورة مرئية حسيّة بصوت من أحد أوضاع الشيء، فالطرف الثاني كان حسي، إذ أنّ الصورة مرئية لفقد الشيء، إلاّ أنّ هذه الصورة شيء معنوي يدل على الحياء، وقد تقدّمت الأداة في هذا التّشبيه، وجاء المشبه معروف" الحياء" أمّا المشبه به جاء على شكل جملة اسمية(لها في الأرض نسيا تقطعه).

تنوّع شعر الشنفرى بألوان المحسّنات البديعية اللّفظية، وقد جاء بالجناس في هذا البيت الشعري:

كلّ ماضٍ تردّى بماضٍ كسنا البرق إذا ما يملُّ.

ويتجلّى الجناس التام المماثل في بيت الشنفرى، في كلمة "ماض" فالأولى تعني النافذ في الأمور من الرجال، أمّا الثانية فتعني السيف(ماضٍ)[3]،فهذه الكلمة الثانية لها معنى قوي، فجاءت بعدّة معاني "الموت" فهو مصير كلّ فرد.

[1] إيميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص33.

[3] سعيد صيد، الموسيقى الداخلية في شعر منتهى الطلب، مجلّة اشكالات اللّغة والأدب، مجلد9، عدد1، 2020م، ص484.

ونجد عند" الشنفرى" نوع آخر من المحسّنات البديعية كالطباق أو كما يطلق البعض عليه "التضاد":

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرئٍ سرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ.

فكلمة "راغب" في المعنى ضد كلمة "راهب" فنوعه طباق الإيجاب، كما أنّه جناس ناقص في نوع الحروف، إذ جاء الحرف الثالث غينا في "راغب" وهاء في "راهب"[1].هذه الصورة الأدبية فهي المليحة في رأينا ماهي إلاّ جمع بين التمثّل النفسي والجانب الثقافي الذي استطاع الأدب من خلال هذه المقولات الشعرية المشبعة بالصور البيانية والمحسنات البديعية أن يجمع بين هذين المكونين، ومن هنا تكمن أهمية الجانب الأدبي وخطورته في هذا المضمار.

ومن الطباق نجد شعر عروة:

فللموت خير للفتى من *حياته* فقيراً، ومن مولى تدبّ عقاربه[2].

فهذا الطباق الذي يقابل فيه الشاعر بين لفظتين متضادتين (الحياة والموت) فيه تعبير عن فكر فلسفي يحمل في طياته جوانب نفسية معرفية تبيّن كيف كان ينظر الإنسان إلى معادلة الموت والحياة من منظور إيديولوجي، عرض جانبا آخر كان يعبّر فيه عن مكوّن ثقافي عرفت فيها البيئة العربية هذه المعادلة من الجانب الفكري وقد يختلف عن فكر آخر، إنّ هذا الطبق قبل أن يكون طباقا أدبيا يدخل في إطار المحسّنات البديعية ونوعه ، فإنّه يعدّ طباقا إيديولوجيا يبيّن نظرة الإنسان العربي إلى مكنوناته الثقافية المحصورة بين الموت والحياة، وهذا طباق الإيجاب.

ويقول أيضا:

[1] المرجع نفسه، ص486.

[2] أسماء محمد، ديوان عروة بن الورد، ص48.

وَأَنّي لا يُريني البُخلَ رَأيٌ سَواءٌ إِن عَطِشتُ وَإِن رُويتُ.[1]

الطباق جاء في لفظتي "عطشت "و"رويت" ونوعه طباق الإيجاب.

تعبر هذه المحسنات والصور البيانية في حقيقة الأمر عن مكونات اجتماعية وثقافية وأدبية ونفسية، لم تأت من فراغ وإنما جاءت من فضاء عربي بكلّ ما يحمله هذا الفضاء من مميّزات وخصائص وسمات ألهمت الإنسان قبل أن تلهم الشاعر، فخرج هذا النتاج الأدبي العظيم بكل ما يحمله من جمال على المستوى الأدبي والفني.

[1] أسماء محمد، ديوان عروة بن الورد، ص48.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي وفّقني إلى إتمام هذه الدّراسة، ومن هنا أفرزت لهذه الدّراسة المستفيضة لفيفا من النتائج أحسبها تضيء لنا بعض المعالم، نجملها فيما يلي:

- الصّعلوك كان يصطدم بمجتمعه الذي يرى في هذه الفوضوية الفردية مظهرا من مظاهر التمرّد، وتنقطع الصّلة بين القبيلة والصّعلوك فيتخلّى المجتمع عنه، ويحرم من حماية القبيلة.
- وضّح لنا أمير الصّعاليك نوعين من التمرّد: تمرّد من أجل العيش والبقاء على قيد الحياة دون مراعاة أخيه ولو به خصاصة، وهذا عبر قطع الطّريق عن القافلة والاستلاء على خيراتها، والتمرّد من أجل الدّفاع عن إخوانه الضعفاء وتقسيم الهموم بينهم، وإسعادهم.
- كان عروة بن الورد أكثر من صعلوك بالمفهوم المتعارف عليه للصّعاليك، فقد نحا منحى التعاون للفقراء أينما كانوا.
- شكّلت لوحة الصّعلوك جزءً مهما من شعر" عروة" كمطلب نفسي لما يجب على الصّعلوك أن يتّخذه أو ينحوه.
- لم يقتصر تمرّد الصعاليك على الحياة بصفة عامّة، بل تمرّدوا حتى في اللّغة من خلال توظيفهم للألفاظ الغير المفهومة، بالرّغم من تنقّلاتهم من قبيلة لأخرى، ورغم اللّهجات واستخدام الأفعال الرّباعية المضاعفة، وظهور أغراض جديدة تمثّلت في وصف الحيوانات والسّرعة وهذه الخاصّية ميّزتهم عن قبائلهم.
- سمّيت الصّعاليك بالشّخصيّات المكافحة، إذ يجد الرّجل حالته مسكونة بهاجس الثورة، أي تجاوز الثورة التي كان عليها من نظرة دونية من قبل القبيلة بحسبانه لأنسب له، إلى ثورة داخلية نفسية من محاولة التّغلب ورفض لكلّ جور وظلم من طرف الحاكم.

- لقد كان الصّعلوك على هذا النّحو من الأخبار التاريخية والمعاني اللّغوية يبدأ فقيرا ثمّ يحاول التغلّب على الظروف بكلّ أشكالها ولا سيّما الاغتراب النّفسي وقساوة الطبيعة، ومعاشرة المجتمع الحيواني.
- الصّعلوك وجد ضالّته في الخلوة وعشقه للمغارات والكهوف، واستئناسه بالحيوانات بعيدا عن بني جلدته التي تخلّى عنها.
- تنوّعت خصائص شعر الصعاليك فوصفت نوع من الأخلاق والنزاعات لا يتصف به غيرهم من الشعراء الآخرين، فصور نفسياتهم وأعمالهم لواقعهم المعاش فصور حياتهم البدوية ومظاهرها.
- استمد الشنفرى وغيره من الشعراء معانيه من التجربة الحسية، ثم صور المحسوسات في خياله فجسدها في واقعه من خلال أشعاره.

وفي الأخير نتمنّى أن يكون بحثنا هذا قد استوفى جميع الشروط الملائمة ليحظى بالقبول، ويكون سندا قويا للطّلبة المقبلين على مذكّرة التخرّج.

الملاحق:

بيبليوغرافية الشّعراء الصّعاليك

1) الشنفرى:

أ) اسمه:

اختلف المؤرّخون حول اسم "الشنفرى" ولقبه، فقال بعضهم إنّ اسم "الشنفرى" لقب له، واسمه "عمر بن براق"، أو "ثابت بن أوس"، أو ثابت بن جابر" على ثلاثة أقوال، وقال بعضهم إنّ "الشنفرى" هو اسمه الحقيقي لا لقبه وذهب معظم العلماء إلى أنّ "الشنفرى" لقبه بمعنى غليظ الشّفتين، وأنّ الشاعر لقّب بذلك لعظم شفتيه[1].

ب) نسبُهُ:

اختلف المؤرّخون والرّواة حول نسب "الشنفرى "ومولده ونشأته، وأهمّ ما جاء في هذا ما رآه الأصفهاني ((إنّ الشنفرى كان من الأوس بن حجر بن الأزد بن الغوث، أسرته بن سباتة بن فهم بن عمرو بن قيس بن غيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بن سلاما بن مفرج بن عوف بن مالك بن الأزد رجلا من فهم أحد بني شبابه، فقدته بن شبابه للشنفرى))[2].

أمّا "المفضّل بن الضبي" نسبه إلى: ((عمرو بن مالك وقيل ثابت بن الأوس، وقيل ثابت بن جابر، الشنفرى لقّب به الأواس بن الأزد بن الغوث، شاعر جاهلي قحطاني من لصوص العرب وفتّاكها وعدّائها، هو ابن أخت "تأبّط شرا"، أُسِر وهو صغير، وعلى عكس ما جاء به الرواة حول نسب الشنفرى إلاّ أنّه نشأ في بني سلامان من بني فهم))[3].

ج) مولده ونشأته:

[1] إميل يعقوب، ديوان الشنفرى عمر بن مالك، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص9.

[2] أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، تح: محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرّعاية، الجزائر، د.ط، ج15، 1992م، ص 7428.

[3] أبو العباس بن محمد الظبي، ديوان المفصليك، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، المجلد1، ص26.

إذا حاولنا تحديد تاريخ ولادة الشنفرى ((فلا نجد في مصادر ترجمته تاريخا محدّدا، أو تقريبا لتاريخ ولادته، ولا مكانها ، ولا تعيينا دقيقا لوالده او لوالدته التي يغلب الظّن أنّها كانت سوداء حبشية، أمّا نشأته فقد اختلف الرّواة فيها على ثلاثة أقوال، إذ قال بعضهم إنّه نشأ في قومه بني أزد ثمّ أغاظوه فهجرهم، وقال آخرون إنّ بني سلامان أسروه صغيرا فنشأ فيهم يطلب النجاة حتى هرب، ثم انتقم منهم، وقالت فئة ثالثة : إنّه ولد في بني سلامان فنشأ بينهم وهو لا يعلم أنّه من غيرهم حتى قال يوما بابنة مولاه: " اغسلي رأسي يا أخيّة"، فغاضها أن يدعوها بأخته، فلطمته فسأل عن سبب ذلك فأُخبر بالحقيقة فأضمر الشّر لبني سلامان وحلف أن يقتل منهم مئة رجل، وفعل))[1].

د) مقتله:

نقل الرّواة عن مقتل الشنفرى روايتين، وفيهما أن بني سلامان هم الذين قتلوه بعد أن قتل منهم خلفا كثيرا، وتقول الرواية الأولى إنّ بني سلامان قتلوه بمساعدة أسيد بن جابر أحد العدّائين، وفي الثانية أنّه عزا بني سلامان يقتلهم ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا، ثمّ غزاهم غزوة فنذروا به، فخرج هاربا، ثمّ خرج إليهم فقتلوه وصلبوه، فلبث عاما أو عامين مصلوبا، وعليه من نذرة رجل ، قال: فجاء رجل منهم كان غائبا فمرّ به وقد سقط، فركض رأسه برجله فدخل فيها عظم من رأسه فبغّت - أي هاجت- عليه فمات منها، فكان ذلك الرّجل هو تمام المئة[2].

هـ) أدبه:

[1] إميل يعقوب، ديوان الشنفرى عمر بن مالك، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص12.

تنوّع شعر الشنفرى ما بين الفخر والحماسة وما اشتهر به" لامية العرب" وهي قصيدة من ثمانية وستين بيتا، إنّها وإن كانت ثابتة النسبة إليه في مجملها أو في قسم كبير منها فهي تنطق بلسان البادية الأولى وحياة التشرّد، وقد شرحها الزمخشري وتُرجمت إلى الفرنسية والألمانية والإنجليزية[1].

كما له قصيدة أخرى اختارها ((المفضّل الضبي في المفضليات فيها غزل وحماسة)).[2]

2) عروة بن الورد:

أ) نسبه:

هو ((عروة بن الورد بن زيد، وقيل ابن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان، بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد))[3]. وينتمي نسبه إلى قبيلة عبس بن بغيض [4].

وقد جاءت في كتب الآداب أنّ أمّه كانت من "نهد" وكان عروة لا يحب هذه القرابة وينكرها، يقول" كارل بروكلمان": ((وكانت أمّه من بني نهد وهم ليسوا من أشرف القبائل فنقض ذلك منزلته))[5]. لهذا السّبب عروة كان لا يحب أن ينتمي لهذه الصّلة أي قرابة أمه.

ب) انسانيّته:

أنّ انسانية عروة وجوده تتمثّل أفضل تمثيل في طريقة حياته ومعاملته للصّعاليك الذين كثيرا ما كانوا يتدلّلون عليه، فيتحمّلهم لئلاّ يفسد صنيعه معهم ويصبر عليهم أيّما صبر، ويكظم غيظه، ويعفو عنه

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص172.

[2] عمر فروح، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ج1، 1971م، ص104.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ص799.

[4] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 173.

[5] بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحميد النجار، دار المعارف، القاهرة، ص 5، ص109.

أعظم عفو، والشيء الغريب أنّ عروة إذا أعسر وضاقت به الأمور يذهب إلى الذين أثروا من جوده وكرمه يطلب منهم القليل والعون الضّئيل فردّونه خائبا بخفي حنين وهذا ما جعله يقول:

أَلا إِنَّ أَصحابَ الكَنيفِ وَجَدتُهُم كَما الناسِ لَمّا أَخصَبوا وَتَمَوَّلوا[1].

ج) شاعريته:

لم يكن عروة بن الورد فارسا صعلوكا جوادا فحسب، وإنّما كان من الشعراء العرب المعدودين حتى أنّ قومه بني عبس، كانوا يأتمّون بشعره، وشعر عروة له عدّة خصائص سيلاحظها القارئ خلال قراءته لمقطوعاته الشعرية في هذا الديوان، ويمكن لنا إيجازها فيما يلي:

- شعر يتميّز باللّطف.
- شعر يتميّز بالقبول لدى القارئ(سائغ).
- لا نرى منه وقوفا على الأطلال، وبكاء للديار، وتشبيبا بالمحبوبة الظاعنة، ووصف للجواد او الناقة او غير ذلك.
- شعر عروة خرج بعيدا عن التقليدية إلى آفاق رحبة وإلى أغراض إنسانية سامية.
- شعر يمتلئ بجمال المعاني والطراوة والإيقاع العذب، والبعد عن الغريب والمستهجن[2].

د) مقتله: يقال إنّ عروة بن الورد مات مقتولا قتله رجل من بني طهية سنة(616هـ.)[3]

3) تأبّط شرا:

أ) نسبته:

[1] أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1998م، ص 10،11.

[2] المرجع نفسه، 12، 13.

[3] المرجع نفسه، ص14.

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن، وقيل حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار[1]، وجاء أيضا ((فهو من قبيلة فهم واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ويعدّ من أغربة العرب، إذ كان بن أمة حبشية سوداء فورث عنها دوادها وقيل، بل أمة حرّة من فهم تسمّى أميمة نشأ يتيما مات والده، فتزوّجت أمّه أبا كبير الهذلي وكان صعلوكا كبيرا فخرجه على شاكته وربما كان لسواده))[2].

ب) أدبه:

لتأبّط شرا شعر مثبوث في كتب الأدب وأكثره في شرح حالة ووصف غاراته وتصوير حياته المتشرّدة، وهو في شعره رجل الانفرادية الحازمة والشّخصية القوية كما هو رجل الكرم والجود الذي يؤثّر أطيافه على نفسه، والحياة عنده هزؤ بالحياة وتعلق بها، وتميّز أدبه بخشونته في المعاني والمباني، وتصوير حسّي صادق ونفس مكسوّة بالألفاظ وألفاظ ترى فيها العادات والنّفسيات وسذاجة فطرية حلوة، وجوّ صحراوي يضطرب فيه حيوان الصحراء ونباتها، وغيثها وبرّها وبرقها وتصطحب فيه الشّراسة والرّقة، وتدفّق طبيعي على غير نظام، اللّهم إلاّ نظام الطبيعة الفطرية، وأوزان مستقيمة، وقواف شديدة تتصاعد من خلالها موسيقى الصّحراء ذلك هو أدب تأبّط شرا، هو أدب اعترافي قصصي مليء، هو أدب النفس والقلب وإن شابته الأشواك، والتحف بالرّمال والنبال[3].

ج) وفاته:

اختلف الدّارسون حول وفاته فالبعض أرجعها إلى سنة(530ه)، والبعض الآخر إلى سنة(540ه)[4].

د) مكانة تأبّط شرا ومنزلته بين الشعراء:

[1] علي ذو الفقار شاكر، ديوان تأبّط شرا، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1404ه، 1984م، ص263.

[2] شوقي ضيف، الأدب الجاهلي، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ط11، ص377.

[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 170، 171.

[4] عبد الرحمن المصطفاوي، ديوان تأبّط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص8.

يبدو أنّ حياة هذا الصعلوك الحافلة بالغرائب، والروايات التي لا تخلو من دسّ جعلت من النقاد فيما بعد يعزفون عن الاهتمام به، فلا نجد هم يحفلون بكثير الاهتمام به، ما خلا بعض أخباره التي تتناقلها بعض الكتب ، فهذا صاحب الطبقات" ابن سلام الجمحي" لم يذكره وذلك ابن جني يلمّح إليه مسرعا مصنّفاته، ولا يذهب بنا القول فنذكر أنّ لشعره ميزة خاصّة دفعت علماء اللّغة ورواة الشعر والنحاة للاهتمام بأشعاره ولا سيّما الأبيات المفردة والنتف، فلا يكاد يخلو معجم أو كتاب في النّحو وغيرهما من أبيات يتمثّلون بها لهذا الشاعر والسبب في ذلك واضح جلي مفاده تمتّع تأبّط شرا بلغة عربية أعرابية فصيحة لا تشوبها شائبة اللّحن، أضف إلى ذلك استخدامه لمفردات وأساليب حفظت للعربية شواهدها وأدلّة تفوّقها[1].

[1] عبد الرحمن المصطفاوي، ديوان تأبّط شرا، ص13،12.

قائمة المصادر والمراجع

قـــــائـــــمة المصادروالمراجع

- **الكتب:**

1. إبراهيم الخواجة، عروة بن الورد، حياته وشعره، مطبعة لنصر، نابلس، ط2، 1987م.
2. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت، ج1.
3. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم مجد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، م4، ج27.
4. أبو الحسن ابن اسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 2000م.
5. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
6. إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1979م.
7. أحمد كمال زكي، شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، دط،1969م.
8. إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.
9. الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج18، ط8، 1990م.
10. إيميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.
11. جواد العلي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد في نشره، ط2، 1993م.
12. حميد آدم، كامل سعيد عواد، ديوان السليك بن السليكة، أخباره وشعره، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1، 1984م.
13. حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم- دار الجيل، بيروت، لبنان، 1985م.
14. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه ونهايته: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.
15. ديوان تأبط شرّا، إعداد تقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.

16. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح وتح: أسماء أبو بكر محمّد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1418هـ-1998م

17. شرح حماسية أبي تمام، التبريزي، تح: محمد محي الدّين عبد الحميد، الشعراء الصّعاليك، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358هـ.

18. شرح ودراسة أسماء أبو بكر الصديق، ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.

19. عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامّة للكتاب، د.ط، 1987م.

20. عبد الرحمان المصطفاوي، تأبّط شرا، الديوان، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

21. عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، د.ط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2008م.

22. عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، دراسة منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982م.

23. عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرّد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2003م.

24. عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1988م.

25. عروة بن الورد، الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

26. عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1998م

27. غازي طيمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي (قاضياه اغراضه، اعلامه، فنونه)، دار الإرشاد، حمص، دمشق، ط1، 1992م

28. فرج عبد القادر طه، ومجموعة من الدكاترة، معجم علم النّفس والتحليل النّفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.

29. محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الجاهلي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

30. محمد فهمي عبد اللّطيف، فلاسفة وصعاليك، دار القومية للطّباعة والنّشر، د.ت.

31. محمد مصطفى هدارة، دراسات في الشعر الجاهلي، طبعة دار المعارف، 1982م.

32. مذكر القحطاني، شعر الصعاليك نظرة في الرؤية والأداء، كلية العلوم والآداب، السعودية، جامعة الحدود الشمالية، السعودية، 1444م/ 2022م.

33. مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، دار مصر للطباعة، ط3، 1955م.

34. نوري حمودي القيسي، ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج15، ج1.

35. هاشم صالح مناع، الأدب الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

36. هاني نجمة حمزة، شعر المهمّشين في عصر ما قبل الإسلام، ط1، دار الأمان، الرّباط، بيروت، لبنان، 2013م.

37. يعقوب بن إسحاق المتوفّى سنة 244هـ، ديوان عروة بن الورد، تحقيق: عبد المعين الملومي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

38. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مكتبة الدّراسات الأدبية، القاهرة، ط3، 1978م.

39. يوسف فرحات، ديوان الصّعاليك، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

- المجلاّت:

1. بشاير بن صالح عبد الله حسين العنزي، الآخر في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، مصر، المجلد3، العدد 31، ماي 2022م.

2. جديد زليخة، مجلّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، جوان2012م.

3. عبد العزيز موسى درويش علي، رمزية المرأة وتجلّياتها في شعر الشنفرى، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، المجلد10، العدد 4، 2019م.

- الرّسائل الجامعية:

1. أحلام عبد العالي الغالي الصاعدي، شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شرّاحها دراسة نقدية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أم القرى، السعودية، 2011م، ص118.
2. أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، مذكرة ماستر، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة، 2007م.
3. رزاق زهور، الدلالة الصوتية في شعر الصعاليك، عروة بن الورد أنموذجا، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللّغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014م- 2015م.

فهرس الموضوعات

المـــــوضـــــوعـــــات	الصـــفـحـات
الإهـــــــــداء	
شـــكروتقدير	
المقـدّمـــــــة	**4-1**
المـــــدخل: نشأة الشعر الجاهلي.	**9-6**
تمـــهيد	
أوّلا- الشعر الجاهلي- بداياته-	7-6
ثانيا- خصائص الشعر الجاهلي.	9-7
الفـــصـــل الأوّل: الصّعلكة من المفهوم إلى الأبعاد.	**39-10**
تمـــهيد.	
أوّلا- مفهوم الصّعلكة:	18-11
أ. لغة.	14-11
ب. اصطلاحا.	18-14
ثانيا- سمات مجتمع الصّعاليك:	22-18
1) طائفة الخلعاء والشذاذ.	21-17
2) طائفة الأغربة السود.	22-21
3) طائفة الفقراء والمتمرّدين.	22 31-22
ثالثا- أسباب الصّعلكة:	25-22
1. الفقر.	27-25
2. غياب الدّولة والسّلطة الجامعة.	31-29
3. طبيعة الأرض في الجزيرة.	**39-31**
4. التمرّد والخروج عن الأعراف السائدة.	33-31
رابعا- الخصائص الفنيّة لشعر الصّعاليك:	34-33
1. شعر المقطوعات.	35-34
2. الوحدة الموضوعية.	36-35
3. التّخلّص من المقدمة الطّللية.	37-36

4. عدم الحرص على التّصريع. 39-37

5. التّحلل من شخصية القبيلة.

6. الواقعية.

الفــصــل الثـــاني: سيكولوجية الشاعر بين الاغتراب الروحي والارتحال. 40- 59

تمهـــيد

أوّلا- المرأة والوقوف على الطّلل بين البعد النّفسي والبعد الثّقافي. 44-41

ثانيا-مكوّنات الفضاء الجاهلي من المنظور الثّقافي وأثره النّفسي. 50-44

ثالثا- الامتدادات الثّقافيّة في شعر الصّعاليك. 52-50

رابعا- تمثّلات العزلة والاغتراب في شعر الصّعاليك. 56-52

خامسا- البعد الثّقافي والنّفسي من المنظور الأدبي. 59-56

الخـــــاتمـــة 62-60

المـــلاحـــــق 69-63

الشنفرى. 66-64

عروة بن الورد. 67-66

تأبّط شرا. 69-67

قائمة المصـــــادروالمـــــراجـــع 73-70

فـهـــــرس المـوضـــوعـــات 77-74